التثبت في قبول الأخبار وروايتها في رسالات السماء

د. عزية طه

تمهيد:

إن التثبت في قبول الأخبار ثم روايتها والتدقيق في تناقلها والتحفظ في ذلك يعتبر من الصفات الحميدة، التي ينبغي أن يتحلى بها أرباب العقول السليمة، والنفوس النزيهة، وأصحاب الجد في أمور دينهم ودنياهم.

ومما يدل على ذلك ما حدث من تشويه وتحريف في عقائد الأمم السابقة، والتي لم يتحل علماؤها بفضيلة الصدق والتثبت في رواية تراثهم الديني - كما هو معروف - فكان ذلك كارثة عليهم.

أما في أمور الدنيا فإن مروجي الإشاعات والأباطيل غالبا ما يفقدون ثقة الناس في حديثهم وفي نزاهتهم، وقد يفقدون فرصهم في الكسب والعيش الهنيء. كما أن المجتمع الذي تنتشر فيه الإشاعات يفقد استقراره النفسي، وتسوء أخلاق أفراده، وتنتشر بينهم الشكوك والظنون والافتقار إلى الثقة فى التعامل بين الأفراد والجماعات ويفقد المجتمع كذلك الاطمئنان النفسي والهدوء والاستقرار الذي يساعد على زيادة الإنتاج وتحقيق الرفاهية والتقدم للمجتمع.

نلاحظ أن هذه الآفات قد انتشرت في زماننا هذا بما يصل إلى حجم الكارثة، بل أصبح الناس عالمهم وجاهلهم يستهينون في تناقل الأخبار غير الموثقة، حتى إن وكالات الأنباء والصحف والإذاعات وغيرها في هذا الشأن قد أصبحت أدوات متخصصة في ترويج الشائعات، وترويع الآمنين، واختلاق الأكاذيب التي يمكن أن تؤذي السلام العالمي وتهدد مستقبل البشرية بالفناء.

فما أحوجنا نحن المسلمين إلى وقفة متأملة حول هذا الموضوع الحيوي لما في ديننا الحنيف من تشريع محكم في هذا الشأن، جاء به كتاب الله وسنة رسوله الكريم، بل وتطبيق تجلى في تدوين القرآن الكريم بين يدي النبي ﷺ، وتناقله بين الناس عن طريق التلقين متواترا عن النبي ﷺ، كما تلقاه عن جبريل عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى. ويتجلى ذلك أيضاً في حرص المسلمين على التثبت في نقل الأخبار المروية عن النبي ﷺ وتداولها بينهم بعد تمحيصها ثم تدوينها وتصنيفها في درجات تتراوح بين الأخبار الصحيحة والحسنة والضعيفة ثم الموضوعة، مما حفظ على الإسلام عقائده وشرائعه نقية لا تشوبها شائبة، كما جاءت عن الحق سبحانه وتعالى، وكما ترجمت في سنة رسول الله ﷺ.

وبالمقابل نجد أن الأديان والشرائع السماوية قبل رسالة محمد ﷺ قد وقعت ضحية للشائعات والكذب والتضليل، وضحية لعدم التثبت في قبول الأخبار التي تستند إلى الحس، بل وعدم التدقيق كذلك عند رواية تلك الأخبار وتناقلها، مما أدى إلى ضياع معظم هذه الأديان وتحريفها، والتباس الحق بالباطل في معظم ما يتصل بها من تشريعات وعقائد.

إن عدم التثبت في رواية الأخبار التي تتصل بالعقائد قد بدل دين التوحيد الذي دعا إليه سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وحوله إلى مزيج من الخرافات والأباطيل التي لا تقوم على سند أو دليل يقبله عقل سليم أو منطق.

كما انبنت مؤسسات ذات حول وطول حول هذه الأكاذيب، مثل كنائس النصارى التي انبنت لها مصالح دنيوية قاهرة لا تستطيع أن تتخلى عنها، لا سيَّما وأنها قد استقطبت حولها أعدادا هائلة من البشر الذين يعملون في خدمة هذه الأباطيل والترويج لها ونشرها بين الناس فيما يسمى بالتبشير أو التنصير.

وسوف أتناول في هذا البحث موضوع التثبت في قبول الأخبار وروايتها في رسالات السماء من الوجوه الآتية:

أولا : في معنى التثبت وأهميته.

ثانيا: مدى التثبت في قبول الأخبار وروايتها عند اليهود، ويشمل:

١ ـ أصل التوراة كما يراها اليهود.

٢ ـ أحبار اليهود وأثرهم في تحريف التوراة.

٣ ـ عدم تحمل أحبار اليهود للتوراة، وأثر ذلك على المِلَّة اليهودية.
٤ ـ أثر البيئة الاجتماعية في تحريف التوراة.
٥ ـ أصل التوراة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ثالثا: مدى التثبت في قبول الأخبار وروايتها عند النصارى، ويشمل:
١ ـ أصل الإنجيل كما يراه النصارى.
٢ ـ رهبان النصارى وأثرهم في تحريف الإنجيل.
٣ ـ عدم تحمل رهبان النصارى للإنجيل، وأثر ذلك على الملة المسيحية.
٤ ـ أثر البيئة الاجتماعية في تحريف الإنجيل.
٥ ـ أصل الإنجيل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

رابعا: التثبت في قبول الأخبار وروايتها عند المسلمين، ويشمل:
١ ـ أصل القرآن الكريم والسنة الشريفة.
٢ ـ تثبت علماء المسلمين في حفظ وتدوين القرآن الكريم والسنة الشريفة.
٣ ـ التدقيق في صيانة القرآن والسنة، وأثره في ازدهار العلوم الدينية والدنيوية.
٤ ـ أثر القرآن والسنة في تكوين الأمة الإسلامية.

خامسا: التلخيص والخاتمة

أولا : معنى التثبت وأهميته

١ ـ معنى التثبت:

يقال: «تثبت في الأمر والرأي واستثبت. ومعناه: تأنى فيه ولم يعجل، واستثبت في أمر: إذا تشاور وفحص[١]، كما جاء في قوله عز وجل: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[٣]. إن تثبيت الفؤاد وتسكين القلب هنا ليس للشك، ولكن كلما كان البرهان والدلائل أكثر على القلب كان القلب أسكن وأثبت أبدا. كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾[٤].

ويقال: لا أحكم بكذا إلا بتثبيت، أي بحجة، وفي حديث صوم يوم الشك: ثم جاء الثبت أنه من رمضان، والثبت ـ بالتحريك ـ: الحجة والبينة.

وثابته وأثبته عرفه حق المعرفة... وأثبت حجته: أقامها وأوضحها، وقول ثابت: صحيح»[٥].

٢ ـ أهمية التثبت:

إن التثبت في قبول الأخبار ونقلها يؤدي إلى حماية الأخبار من تقول المتقولين وعبث العابثين، ويبقى الخبر عبر العصور نقيا صافيا كما جاء به قائله، مما يهيء للأجيال معرفة الأخبار، وأفكار قائليها، والتعمق في ذلك.

كما أن نقل الأخبار الصحيحة يساعد الباحث الذي يريد أن يستجلي ما أبهم من التراث الغابر، مما يعينه على أن يتعمق في فهم هذا التراث، وأن يفعل ذلك في سهولة ويسر.

---

(١) لسان العرب ٢ : ٣٢٣، ٣٢٤

(٢) سورة البقرة : آية ٢٦٥ قال ابن كثير : «وتثبيتاً من أنفسهم : أي وهم متحققون ومتثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء انظر تفسير ابن كثير ١/٢٣٩

(٣) سورة هود آية ١٢٠

(٤) سورة البقرة : آية ٢٦٠

(٥) لسان العرب ٢/٣٢٤

وبما أن سلامة النص من ناحية العقل والنقل تعد من أهم الأشياء التي تؤدي إلى الاطمئنان إلى سلامة النص المنقول، لذلك يتجه علماء التاريخ والاجتماع والأديان وغيرهم في العصر الحديث عند محاولة فهمهم التراث الغابر إلى المخطوطات والآثار القديمة، باعتبار أنها المصادر الرئيسة للأثر الذي يبحثون عنه.

إنه لمن الطبيعي أن مادة البحث والتنقيب إذا مرت عليها القرون الطوال ولم يبحث فيها أحد أو ينقب عنها أو يوثقها، إما أن تندثر إلى الأبد، وإما أن تمتد إليها أيدي العابثين، فيغيروا كثيرا من حقائقها، لا سيَّما إذا كان هذا التراث يتعلق بجانب من أهم جوانب الحياة، وهو الجانب الروحي في الإنسان، ومما يدلنا على ذلك: الحيرة والارتباك والارتياب الذي وقع فيه علماء اللاهوت الغربيون عندما اتجهوا في القرن الثامن عشر الميلادي للبحث والتنقيب عن أصل الديانتين اليهودية والمسيحية. وخير مثال على ذلك: مدارس النقد الألماني[1] للبحث في أسفار العهدين القديم والجديد، ومنها مدرسة تسمى بمدرسة The Form Criticism أي النقد الشكلي، وأخرى بمدرسة Reduction Criticism أي نقد المحتوى والمضمون.

لقد حاولت المدرستان الوصول إلى أصل أسفار العهدين القديم والجديد، وذلك باللجوء إلى المخطوطات القديمة والرحلة في طلب هذه المخطوطات، بل لجأت إلى الحفريات والآثار للنظر في إمكان العثور على بعض الدلائل التي تساعد في الوصول إلى أصل العهدين، ولكن هاتين المدرستين خرجتا بنتيجة واحدة، وهي: أن مسألة الوصول إلى حقائق تتعلق بالعهدين القديم والجديد مسألة صعبة وعسيرة جدا، وذلك لأنه توجد فجوة عميقة بين تاريخ تدوين العهدين وتاريخ اعتمادهما ضمن الكتاب المقدس.

فمثلا: نجد أن تواتر التوراة[1] منقطع بين سيدنا موسى عليه السلام ويوشيا بن آمون ـ كاتب التوراة بزعم اليهود ـ ويوشا هذا هو أحد الملوك الذين حكموا

---

(١) فيما يختص بهذا الموضوع يمكن الاضطلاع على الكتب الآتية.

1 - Re - Discovering The Teaching of The Evanglist.

2 - The Kerygma Of the Historical Jesus.

3 - Toward a Political Hermeneutic of the Gospel.

(٢) اظهار الحق ٥٦ ـ ٥٨.

فلسطين، وقد امتد عهده بين عام ٦٤٠ و٦٠٩ ق.م، أي بعد وفاة سيدنا موسى عليه السلام بستة قرون تقريبا.

أما فيما يتعلق بالإنجيل: فإن هناك فجوة عميقة بين الفترة التي كتب فيها المؤلفون أناجيلهم التي نسبوها لعيسى عليه السلام، والفترة التي اعتمدت فيها تلك الأناجيل رسميا ضمن أسفار العهد الجديد، وذلك في مؤتمر نيقية عام ٣٢٥ م.

نجد كذلك أن عدم التثبت في نقل أخبار الرسل قد ضيع كثيرا من الحكم والمواعظ والشرائع التي جاءت على لسان الأنبياء السابقين، مما أدى إلى تشكيك الناس في جدوى الديانتين اليهودية والمسيحية عبر العصور، ومن أمثلة ذلك: عالم اللاهوت ديفيد فليسار David Flusser الذي تشكك في جدوى الديانة اليهودية وفي كونها رسالة سماوية فقال: (إن الأنانية وحب الذات المتأصلة في الجنس اليهودي هي التي دفعتهم للزعم بأنهم أحباء الله، وبأن إلههم يهوى فضلهم على العالمين)[١].

أما عالم اللاهوت البرت شواتزر Albert Shewitzer فقد تشكك في كون الديانة المسيحية رسالة سماوية وقال: (إن المسيح شخصية وهمية خرافية، اخترعها المستضعفون الذين كانوا واقعين تحت ضغط ملوك الرومان الجبابرة وقهرهم، فأرادوا أن يجدوا لهم عزاء وسلوى في هذه الشخصية الأسطورية التي توهموا بأنها ستخلصهم مما هم فيه)[٢].

أما المسلمون: فنحمد الله أنهم قد أدركوا فضيلة التثبت في نقل الأخبار وأهميته، لأن أصل التثبت موجود في كتاب الله وفي سنة رسوله، ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[٣].

قال العلامة أبو السعود في شرحه للآية: (فتبينوا: أي فتعرفوا وتفحصوا).

قال أيضا: (قريء فتثبتوا: أي توقفوا إلى أن يتبين لكم الحال، حذر أن تصيبوا قوما بجهالة، أي متلبسين بجهالة حالهم، فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما أسند إليهم على ما فعلتم في حقهم نادمين، مغتمين غماً لازماً، متمنين أن لم يقع ..)[٤].

(١) انظر كتاب: Jesus

(٢) انظر كتاب: The Quest of the Historical Jesus, P. 358

(٣) سورة الحجرات: آية ٦.

(٤) تفسير الفخر الرازي: ٥ : ٥٨٨.

ولقد حذر الإسلام من العواقب الوخيمة التي قد تنتج من عدم التثبت في الأخبار، مثل: إزهاق النفوس، وإراقة الدماء التي أمر الإسلام بحقنها والمحافظة عليها، لذلك عقب الله سبحانه وتعالى على هذه الآيات بقوله ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾[1]. كما أفاده الرازي بقوله: (هذه السورة فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إما مع الله تعالى، أو مع الرسول ﷺ أو مع غيرهما من أبناء الجنس، وهم على صنفين، لأنهم إما أن يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة، أو خارجا عنها، وهو: الفاسق..

نقول: قدم الله ما هو الأهم على ما دونه فذكر جانب الله، ثم ذكر جانب الرسول، ثم ذكر ما يفضي إلى الاقتتال بين طوائف المسلمين بسبب الإصغاء إلى كلام الفاسق والاعتماد عليه، فإنه يذكر كل ما كان أشد نفاراً للصدور، وأما المؤمن الحاضر أو الغائب فلا يؤذي المؤمن إلى حد يفضي إلى التقاتل، ألا ترى أن الله ذكر عقب نبأ الفاسق آية الاقتتال وقال: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا...)[2].

ولقد حث الرسول ﷺ المسلمين أيضا على تبليغ سنته وأمرهم بالتحري فيها، وشدد وغلظ على من يبلغ الأخبار الكاذبة، لا سيما في الأمور الشرعية. فقد أخرج الإمام البخاري بسنده من حديث عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمداً فَلْيَتَبَوَّأْ مقعده من النار»[3].

يتبين للدارس في سيرة الصحابة والتابعين وأتباعهم الذين حفظوا القرآن والسنة: أنهم قد أدركوا أهمية التثبت، ولذا نراهم يدققون تدقيقا شديدا في قبول الأحاديث النبوية الشريفة أوردها.

قال الإمام الذهبي في ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه: (كان أول من

---

(١) سورة الحجرات: آية ٩.
(٢) تفسير الفخر الرازي ٥ : ٥٨٨، ٥٨٩.
(٣) أخرجه البخاری في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٦ : ٤٩٦ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباری).

احتاط في قبول الأخبار. روى ابن شهاب، عن قبيصة: أن الجدة جاءت إلى أبي بكر رضي الله عنه تلتمس أن تورث، فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئا، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئاً، ثم سأل الناس، فقام المغيرة فقال: كان رسول الله ﷺ يعطيها السدس، فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه)[1].

وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديد الإنكار على من أكثر الرواية، أو أتى بخبر لا شاهد له عليه، وكان لشدة احتياطه وخوفه من أن يخطيء الصاحب في حديث رسول الله ﷺ يأمرهم أن يُقلِّوا الرواية، يريد بذلك أن لا يتسع الناس فيها فيدخلها الشوب، ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي، «وهو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب)[2].

أما من تبعهم من أئمة المسلمين فقد فطنوا أيضا إلى العواقب الوخيمة التي يمكن أن يؤدي إليها عدم التثبت في قبول الأخبار وتداولها.

قال ابن حبان: «إن أحسن ما يدخر المرء من الخير في العقبى، وأفضل ما يكتسب من الذخر في الدنيا: حفظ ما يعرف به الصحيح من الآثار، ويميز بينه وبين الموضوع من الأخبار، إذ لا يتهيأ معرفة السقيم من الصحيح، ولا استخراج الدليل من الصريح، إلا بمعرفة ضعفاء المحدثين، والثقات، وكيفية ما كانوا عليه من الخلاف»[3].

ثانيا: مدى التثبت في قبول الأخبار وروايتها عند اليهود

١ ـ أصل التوارة كما يراها اليهود:

إن الباحث المدقق في تاريخ الديانة اليهودية كما كتبها علماء اليهود يجد أن العهد القديم Old Testement هو الذي يسمي به اليهود كل الأسفار المتضمنة في كتابهم المقدس، وهي عبارة عن تسعة وثلاثين سفرا.

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ ١/٢.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/٦ انظر أيضاً: مقدمة المصحح لمقدمة ابن الصلاح.

(٣) كتاب المجروحين ١/٤.

أما التوراة[1] فهم يعتبرونها جزءا من العهد القديم، وهي عبارة عن خمسة أسفار أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام، والذي يعتبرونه من أهم أنبيائهم، يقول في ذلك الدكتور حسن ظاظا: «تتألف التوراة من خمسة كتب أو أسفار تنسب إلى موسى، وتوصف بأنها أنزلت عليه من الله في طور سيناء، وتغطي هذه الأسفار الخمسة فترة من التاريخ تبدأ مع بدء الخليقة، وتنتهي بوفاة موسى على جبل «بنو» شرق الأردن حوالي سنة ١٣٠٠ ق.م»[2].

وسوف أتناول هنا باختصار أسفار التوراة ومحتوياتها حسب ترتيبها في العهد القديم.

أولا: سفر التكوين أو بدء الخلق:

وهو يتحدث عن كيفية بدء الله للخلق في العالم، ويتحدث عن خلق آدم وحواء وخروجهما من الجنة، كما يتحدث عن بعض قصص الأنبياء، كقصة نوح والطوفان، وقصة إبراهيم الخليل وزوجاته ونسله، وينتهي بقصة سيدنا يوسف.

ثانيا: سفر الخروج:

وسمي بذلك لأنه يتحدث عن قصة خروج بني إسرائيل من مصر، وفي السفر أيضا: الوصايا العشر التي يرى اليهود بأنها أنزلت من الله تعالى على سيدنا موسى.

---

(١) كلمة التوراة كلمة عبرانية، وهي تعني: الشريعة أو التعليم، وهي تطلق على الأسفار الخمسة بالدرجة الأولى، ولكنها أصبحت الآن تعني مجمل أسفار العهد القديم... وهى تبلغ تسعة وثلاثين سفرا، يطلق عليها المسيحيون اسم العهد القديم، لأنها تحتوى على كل تفاصيل العهد الأول الذي قطعه الإله مع إبراهيم الخليل ونسله، تمهيدا لعهد جديد قطعه الله مع الجنس البشري بواسطة يسوع المسيح بزعم النصارى.
انظر كتاب نسف الأضاليل: ٤٢، ٤٣.
ولقد وضح لنا عبد الكريم الخطيب أيضا بأن كلمة توراة كلمة عبرية الأصل بقوله: إن التوراة كلمة عبرية، أصلها توره ومعناها الهدى والرشاد، ويطلق عليها في اللغة اليونانية بنتاتوش، ومعناه: الملفات الخمسة، ويقصد بالملفات الخمسة الأسفار الخمسة التي جاء بها موسى متضمنة في العهد القديم، الذى يتكون من تسعة وثلاثين سفرا.
انظر كتاب المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل: ٦٩.

(٢) الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه: ١٣
انظر أيضاً مادة توراه فى: New Caxon Encyclopedia vol 9, 2922

ثالثا: سفر اللاويين أو سفر الأخبار:

هذا السفر يتضمن كثيراً من التشريعات والوصايا والأحكام الخاصة ببني إسرائيل.

وقد جاء[1] هذا الاسم نسبة إلى أسرة لاوي التي أعطاها موسى تابوت العهد، وحملهم مسئولية الحفاظ على التوراة ومدارستها لبني إسرائيل.

وهذا السفر يتميز عن بقية الأسفار باقتصاره على: التشريعات، والكفارات والبشارات، والإنذارات، والطقوس، والأعياد، والمحرمات من الأنكحة والأطعمة.

رابعا: سفر العدد:

يوجد في هذا السفر نسبة بني إسرائيل حسب انتمائهم للأسباط الاثني عشر، ويوجد في السفر أيضا: بعض الأقوال التي تشابه ما جاء في سفر الخروج، ثم يوجد في نهايته بعض أنظمة الطقوس الدينية والاجتماعية.

خامسا: سفر التثنية:

ومعناه: إعادة التشريعات الدينية الموجودة في التوراة وتكرارها، لترسخ في النفوس. ويوجد في السفر كذلك تذكير بالوصايا العشر، وبعض المسائل التي تتعلق بالأطعمة والأشربة المباحة والممنوعة بالنسبة لبني إسرائيل، وينتهي السفر بذكر خبر وفاة موسى عليه السلام.

إن تعاليم التوراة المتضمنة في الأسفار المنسوبة لموسى عليه السلام هي الأسفار التشريعية عند اليهود، وهم يطلقون عليها: اسم التوراة[2]، واسم سفر توراة

---

(١) في شأن أسفار التوراة أنظر:
العهد العتيق من الكتاب المقدس: ١ - ٨٢٠.

(٢) جاء في العهد القديم: أن موسى عليه السلام قال: (في الموضع الذى يختاره الله ـ تنادي عليهم بهذه التوراة على مسمع من جميع إسرائيل) سفر تثنيه الاشتراع: (٣ : ١٥ من الكتاب المقدس العهد القديم ١/٣٥٣ وجاء أيضاً: (خذوا سفر هذه التوراة، واجعلوه إلى تابوت عهد الرب إلهكم فيكون شاهدا عليكم) سفر الاشتراع ٣١ : ١٧. من الكتاب المقدس، العهد القديم ١/٣٥٢.

الرب[1]، واسم سفر الميثاق[2]، وسفر موسى أو توراة موسى[3]، واسم توراة الله[4].

ويعتقد اليهود بأن التوراة أنزلت على الأمم الإسرائيلية فقط، وهي عبارة عن أحكام وشرائع تخص الإسرائيليين وحدهم، أنزلها إلههم يهوى لهدايتهم - دون غيرهم - إلى طريق الرشاد، وعليه فلا يحق لغير اليهودي أن ينتفع بالتوراة يقول في ذلك الدكتور أحمد شلبي: «إن الديانة اليهودية ذات ارتباط بشعب معين كما يؤخذ من تسميتها: اليهودية[5] أو العبرية[6]، وهي بذلك تشبه الديانة الهندوكية في أنها ديانة مقفلة، أي ليست من ديانات الدعوة، وليست إلا تعبيرا طبيعيا لشعب خاص، وجزءا من ثقافة اجتماعية لا تقبل الغرباء.

والذي يقرأ الأسفار كلها لا يجد فيها ما يدل على أن موسى أو بني إسرائيل

---

(١) جاء في العهد القديم: قصة الكاهن حلقيا الذى وجد سفر توراة الرب بخط موسى سفر الأيام الثاني ٩ : ١٤ من الكتاب المقدس، العهد القديم ١/٧٧٥.

(٢) يروي سفر الأيام الثاني قصة الملك الذى آمن بالتوراة بعد عثور حلقيا على الأسفار وفيه: (وصعد الملك إلى بيت الرب هو وجميع رجال يهوذا، وسكان أورشليم، والكهنة، واللاويون، وجميع الشعب من الكبير إلى الصغير، فتلا على مسامعهم جميع كلام سفر الميثاق الذى وجد في بيت الرب). سفر أخبار الأيام الثاني ٣٥ : ٣١ من الكتاب المقدس، العهد القديم ١/٧٧٧.

(٣) جاء في سفر عزرا: (وقام الكهنة وفرقهم واللاويون بأقسامهم على خدمة الله كما كتب في سفر موسى) سفر عزرا ٧ : ١٨ من الكتاب المقدس العهد القديم ١/٧٩٤. وفي سفر نحميا (وتكلموا مع عزرا الكاتب في إحضار توراة موسى).
سفر نحميا ٨ : ١ من الكتاب المقدس العهد القديم ١/٨١٦، ٨١٧.

(٤) جاء في سفر نحميا: (وكان يتلى في سفر توراة الله)
سفر نحميا ٨ : ١٨ من الكتاب المقدس العهد القديم ١/٨١٨.

(٥) الهود: التوبة. هاد يهود هودا، أي تاب ورجع، وقيل: إنهم سموا يهوداً لأنهم يتهودون ويتحركون عند قراءة التوراة، وقيل إنهم سموا كذلك نسبة إلى يهوذا الابن الرابع ليعقوب. انظر لسان العرب ١٥ : ٤٣٩.

(٦) قيل: إنهم سموا بالعبرانيين نسبة لإبراهيم الخليل نفسه، جاء في سفر التكوين: إن إبراهيم: هو إبراهيم العبراني، لأنه عبر نهر الفرات.
وقيل: إنهم سموا عبرانيين نسبة إلى عبر، وهو الجد الخامس لإبراهيم الخليل.
وقيل: إن العبري هو البدوي، فكان اليهود بدواً في الأصل بسبب معيشتهم في الصحراء حياة البداوة.
انظر: The New caxon Encyclopedia, PP. vol 9, 2966-2967—

كانوا مأمورين بدعوة غيرهم إلى ديانتهم. وكل ما في الأسفار منصب على كون الديانة اليهودية ديانتهم الخاصة، وكون الرب ربهم الخاص»[1].

ومما يدلنا على أن اليهود يعتبرون أن ديانتهم قاصرة على بني إسرائيل وحدهم: تقسيمهم الناس إلى يهود و «جوييم»، وأن اليهود هم السادة الذين اختارهم الله وسخر لهم جميع الأمم، أما الجوييم فهم عبيد خلقهم الله لخدمة بني إسرائيل وتلبية مطالبهم.

يعتقد اليهود ـ حسب تعاليم التلمود[2] ـ: أنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، فإن الله لا يتقبل العبادة إلا من اليهود، لأنهم طاهرون، أما غير اليهود فهم جوييم، أي عباد أوثان، وبناء على هذا الزعم أباح اليهود التعامل بالحسنى مع الطاهرين فقط، وحرموه مع الأنجاس.

يقول في ذلك باركلي: (إن أي يهودي يشهد ضد يهودي آخر لصالح أجنبي من الجوييم يُلعن ويُسب، ولا يعتبر اليهودي حانثاً في أي يمين كاذبة مع الأنجاس من الجوييم، ولا يجوز للطبيب اليهودي أن يعالج أحداً من الجوييم، أو يخلص له، إلا بقصد الحصول على المال، ولا يجوز إنقاذ أرواح الجوييم، كذلك لا يجوز لليهودي أن يأكل من ذبيحة الجوييم لأنها تعتبر كالجيفة)[3].

---

(١) مقارنة الأديان ـ اليهودية: ١٨٦.
للمزيد من المعلومات فى هذا الشأن يمكن الرجوع إلى كتاب: Jesus, PP : 18 - 28

(٢) التلمود: هو مجموعة القوانين الشفهية التي وضعها حاخامات اليهود، وينقسم التلمود إلى: المشناة وهو الأصل، أو المتن، ثم شرح المشناة، والذي يطلقون عليه اسم جمارا، والمشناة هي أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة، جمعها يهوذا هاناسي فيما بين ١٩٠ ـ ٢٠٠م.
أما جمارا فينقسم إلى قسمين، يسمى بجمارا أورشليم أو فلسطين، وهو سجل للمناقشات التي أجرها حاخامات فلسطين لشرح أصول المشناة، ويرجع تاريخ جمعه إلى عام ٤٠٠م والقسم الآخر يسمى بجمارا بابل، وهو سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم المشناة، دونها علماء بابل من اليهود وانتهوا من جمعها عام ٥٠٠م تقريبا، والمشناة في أصله هو خلاصة القانون الشفهي الذي تناقله الحاخامات منذ ظهور حركة الفريسين التابعة لأهواء النفس. انظر التلموذ تاريخه وتعاليمه: ١١، ١٢
Hebrew Litetature PP 29 - 30

(٣) لأجل المعلومات الأساسية عن اليهود واليهودية يمكن الرجوع الى كتاب: The Shaping of Jewish History

٢ ـ أحبار اليهود وأثرهم في تحريف التوراة:

إن عدم التثبت في حفظ الآثار الواردة في التوراة وعدم اهتمام أحبار اليهود بصيانة التوراة في القرون الأولى لليهودية بل إلى اليوم، كان له أثر كبير في تحريفها وضياعها.

ومما يدلنا على ذلك: أن التوراة التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام قد كتبت بعد وفاته بعدة قرون، وأن حاخامات اليهود أعطوا أنفسهم الحق المطلق في كتابة أسفار التوراة حسب أهوائهم، يقول في ذلك محمد شكري سرور: «غير أن هذه التسمية ـ التوراة ـ لا يصح أن يحمل على الاعتقاد بأن هذه الأسفار قد كتبها موسى، أو أنها هي التوراة التي أوحي بها إليه، ذلك أنه من المسلم به أن هذه الأسفار قد كتبت بعد عهده بزمن بعيد، كتبها أحبار اليهود أنفسهم، وعلى مراحل منذ القرن التاسع إلى القرن الخامس قبل الميلاد، حتى تكونت على صورتها الحالية، وبالتوراة نفسها من النصوص ما يؤكد أن موسى عليه السلام لم يكن هو الذي جاء بها، أو أنها نزلت عليه، كالنصوص التي تتكلم عن وفاته على سبيل المثال»[1].

ولقد أكد بعض المؤرخين[2] وبعض فلاسفة الأديان في الغرب بأن أحبار اليهود كان لهم أثر كبير في وضع بعض الشرائع والنظم المتضمنة في التوراة، وقال بعضهم من أمثال جرشولم وترفورلنق: إن الأسر البابلي لليهود هو الذي دفع الأحبار إلى محاولة جمع التوراة، خوفا على مستقبل الديانة اليهودية، وهناك خلاف حول أول من جمع التوراة، فبعض المؤرخين يرجعون ذلك إلى يوشيا بن آمون عام ٦٠٩ ق.م. وبعضهم يرجع ذلك إلى عزرا عام ٤٣٥ ق.م ـ لكن جرشولم وترفور يرجحان أن الذي جمع التوراة هو عزرا، مدعيا بأنه إنما كلف بجمع التوراة بإلهام من الله.

ولقد أكد الشيخ رحمة الله الهندي أن سند التوراة منقطع بين سيدنا موسى عليه

---

(١) نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية: ١٣
انظر أيضا: سفر تثنية الاشتراع ٣٤: ٥،٦ من الكتاب المقدس العهد القديم ١ ٣٥٧.

(٢) لمزيد من المعلومات حول جمع التوراة ارجع إلى:

a - The Messianic idea in Judaism

b - The Shaping of Jewish History.

السلام ومؤلف التوراة، وذلك في قوله: «اعلم أنه لابد لكون الكتاب سماويا واجب التسليم، أن يثبت أولا بدليل تام : أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبي الفلاني، ووصل إلينا بعد ذلك بالسند المتصل بلا تغيير أو تبديل. إن تواتر التوراة منقطع من موسى إلى زمن يوشيا بن آمون، ويزعم اليهود أن يوشيا بن آمون هو أحد ملوكهم، والذي حكم من عام ٦٤٠ إلى عام ٦٠٩ ق. م أي بعد موسى عليه السلام بستة قرون تقريبا»[١].

ولقد تشكك سيجموند فرويد حول احتفاظ التوراة بالسمات الأولى للسان الذي كان يخاطب به موسى قومه قائلا: «فنحن نعلم أن قرونا كانت قد مرت بين أيام يوسف وأيام موسى، وأن موسى نفسه ولد في مصر، كما ولد فيها آباؤه من قبل، وأنه تربى في بيت فرعون، وهو أبعد البيوت في مصر عن احتمال التفاهم باللغة العبرية، أو بلغة شبيهة بها من لغات الساميين»[٢].

ومما يدلنا على أن أحبار اليهود كان لهم أثر كبير في تحريف التوراة : اقتناعهم بأن المشناة (وهي متن التلمود) كتاب مقدس على الرغم من اعترافهم بأنها قوانين وضعية، جمعها فرد واحد، وهو الحاخام يهوذا هانانسي. وفي ذلك يقول الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون[٣] في تعريفه للمشناة: «منذ أيام معلمنا موسى وحتى حاخامنا المقدس يهوذا هانانسي لم يتفق أحد من علماء اليهود على أية عقيدة من العقائد التي كانت تدرس علانية باسم القانون الشفهي، بل كان رئيس محكمة كل جيل أو نبي كل جيل، يضع مذكرة عما سمعه من سلفه وموجهيه، لينقلها شفهيا إلى شعبه.

---

(١) إظهار الحق ١/ ٥٦ ـ ٥٨، لقد قيل: إن التوراة التي بين أيدي اليهود الآن جمعها عزرا حوالي سنة ٤٣٥ ق. م، أفادة الدكتور إسماعيل راجي الفاروق في كتابه أصول الصهيونية في الدين اليهودي :

(٢) الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه : ١٤، ١٥

(٣) موسى بن ميمون من كبار مفكري اليهود، وأحد أحفاد الحاخام المقدس لديهم، وهو يهوذا هانانسي، ويهوذا هذا من أكبر علماء اليهود، وهو الذي جمع المشناة، ولد ابن ميمون في مدينة قرطبة بالأندلس في ٣٠ مارس ١١٣٥م. أول كتبه شرح المشناة، تعلم في القاهرة اللغة اليونانية والكلدانية، حتى صار أستاذا في المدرسة التي أنشأها يهود مصر في الفسطاط، توفي عام ١٢٠٤م.

وهكذا ألف كل فرد من العلماء كتابا مماثلا يستفاد منه حسب درجة كفاءته، إذا كان متمكنا من القوانين الشفهية وما توصل إليه السابقون من تفسير التوراة والقرارات التي أعلنت في مختلف الأجيال وقررها السنهدرين.[1]

وهكذا تقدم الزمن حتى أتى حاخامنا المقدس الذي جمع لأول مرة كل ما يتعلق بالسنة والأحكام والقرارات، وشرح القانون المروي عن موسى»[2].

٣ ـ عدم تحمل أحبار اليهود للتوراة وأثر ذلك على الملة اليهودية.

إن عدم تحمل أحبار اليهود للتوراة كان له أثر كبير في إدخال كثير من البدع في الديانة اليهودية، بل أدى ذلك إلى انقسام اليهود إلى طوائف وفرق عديدة. ومن أمثلة ذلك: ما رأيناه في انقسام التلمود إلى تلمود أورشليم وتلمود بابل. ولم يكتف أحبار اليهود بهذين القسمين، بل قام بعض الأحبار بابتداع قوانين[3] أخرى، ليضارعوا بها المشناة، ومن أمثلة ذلك: كتاب الحاخام اليعاذر[4] بن يعقوب، والذي أسماه بريثا Braitha، ويعتبره بعض اليهود نظيرا للمشناة، لأن أكثر من مائة حكم من أحكام الشريعة التلمودية هي من وضع الحاخام اليعاذر، وهذا على الرغم من المخالفات التي أبداها الحاخام ضد المشناة.

إن تصرف أحبار اليهود في التوراة وشرحها بما يروق لهم نمى الاعتقاد لدى اليهود بأن أقوال أحبار اليهود لها منزلة عظيمة من القداسة، بل هي تضارع أقوال أنبياء بني إسرائيل، وأقوال سيدنا موسى عليه السلام نفسه.

---

(١) السنهدرين: معناه بالعبرية المحكمة العليا، وهو الباب الرابع من رسالة المشناة، ويعالج حسب معناه اللفظي موضوع المحكمة اليهودية العليا وقواعدها ودستورها، وهو يعالج الحالات التي يمكن للمحكمة العليا اليهودية أن تصدر حكمها فيها أو تتدخل، وقد شبه أحد علماء اليهود السنهدرين بلائحة القاضي. انظر كتاب التلمود تاريخه وتعاليمه: ٢١، ٢٢.

(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه: ١٢، ١٣.
فيما يختص بهذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب: The Messianic idea in Judaism

(٣) لقد ساق لنا جرشوم شولم أقوالا تشير إلى أن اليهود عظموا كلام أحبارهم وضاهوا به كلام الله.
انظر كتاب Jewich Mysticrsm P. 14

(٤) التلمود تاريخه وتعاليمه: ١٥

يقول في ذلك الدكتور يوسف حنا: «التلمود عند اليهود أفضل من التوراة، لاعتقادهم بعصمة الحاخامات من الخطأ، وكل ما قالوه يعتبر كأقوال إلٰهية.

جاء في صحيفة من التلمود: إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومن درس المشناة فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت دون من احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى»[1].

إن الآثار السيئة التي ترتبت على عدم تحمل أحبار اليهود للتوراة كثيرة ومتعددة، منها ما رأيناه سابقا من خلط التعاليم الوضعية بالتعاليم الإلٰهية، بل وتعظيم تلك التعاليم ووضعها فوق التعاليم الإلٰهية.

ويدلنا على ذلك: الخلط واللبس والتزوير والتغيير الذي طرأ على كثير من نصوص التوراة، فأدى إلى تشويه العقيدة اليهودية، وتمثل ذلك في وصفهم لله بصفات لا تليق بعظمته وجلاله: من طيش وكذب وتعب وغيرها من النقائص، وأدى ذلك بدوره إلى تنمية الاعتقاد لدى اليهود بأن مخلوقات الله تستطيع أن تعاتب الله سبحانه وتعالى وتؤنبه وتوبخه وتضطره إلى البكاء والندم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وإليك بعض الشواهد على ذلك من كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود:[2]

جاء في التلمود: أنه لا شغل لله في الليل غير تعلمه التلمود مع الملائكة ومع أسموديه (ملك الشياطين) في مدرسة في السماء.

جاء في التلمود أيضا: ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل، كما أنه من ذلك الوقت لم يمل الرقص مع حواء بعد ما زينها بملابسها، وعقص لها شعرها. وقد اعترف الله بخطيئته في تصريحه بتخريبه الهيكل، فصار يبكي ويزأر كالأسد قائلا: تباً لي، لأني صرحت بخراب بيتي، وإحراق الهيكل، ونهب أولادي. وشغل الله

---

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود: ٤٤

(٢) المرجع السابق نفسه: ٤٩ ـ ٥١

فيما يختص بمحتويات التلمود يمكن الرجوع إلى:

a - Hebrew Literature

b - The Talmud

مساحة أربع سماوات ـ من شدة حزنه ـ بعد أن كان ملء السموات والأرض في جميع الأزمان.

جاء أيضاً: إن الله صرح بأنه لا يستحق كل هذا التمجيد الذي يقدمه له اليهود في قوله: ما أسعد الملك الذي يمدح ويبجل مع استحقاقه لذلك، ولكن لا يستحق شيئا من المدح الأب الذي يترك أولاده في الشقاء.
جاء أيضا: يندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة، حتى إنه يلطم ويبكي كل يوم.

وجاء أيضا: إن القمر أنَّب الله لأنه خلقه أصغر من الشمس، فاعتذر الله قائلا: اذبحوا لي ذبيحة أكفر بها عن ذنبي، لأنني خلقت القمر أصغر من الشمس أ. هـ .

إن هذا الفساد الديني لدى اليهود أدى إلى فساد دنيوي مماثل، انعكس في سوء أخلاق اليهود وتعاليهم على البشر، ومحاولاتهم المستمرة لاستغلال الأمم الأخرى، لأنهم شعب الله المختار الذين اصطفاهم الله برسالاته وكتبه، لأنهم حسب زعمهم في تحالف أبدي مع الله، لاحتياج الله إليهم كاحتياجهم إليه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ولقد قادهم اعتقادهم هذا إلى تقسيم العالم إلى فريقين، فريق مقرب لله وهم اليهود، وفريق مبعد من الله ومسخر لليهود، وهم الجوييم، وبناء على هذا التقسيم غالى اليهود في مسألة التعالي على البشر، بل بلغت بهم الجرأة إلى الزعم بأن العالم بما فيه من بشر وخيرات يجب أن يسخر لخدمة اليهود، وقد بين لنا صاحب كتاب الخطر اليهودي ذلك بقوله:

«لكن اليهود يسرفون في التعالي والقطيعة بينهم وبين غيرهم، إلى درجة فوق الجنون، فهم يعتقدون أن خيرات العالم أجمع منحة لهم وحدهم من الله، وأن غيرهم من الأميين، وكل ما في أيديهم ملك لليهود، ومن حق اليهود بل واجبهم المقدس معاملة الأميين كالبهائم، وإن الآداب التي يتمسك بها اليهود لا يجوز أن يلتزموها إلا في معاملة بعضهم بعضا، ولكن لا يجوز لهم بل يجب عليهم وجوبا إهدارها مع الأميين أو الجوييم، فلهم أن يسرقوهم ويغشوهم، ويكذبوا عليهم ويخدعوهم، ويغتصبوا أموالهم، ويهتكوا أعراضهم، ويقتلوهم إذا أمنوا اكتشاف

جرائمهم، ويرتكبوا في معاملتهم كل الموبقات، والله لا يعاقبهم على هذه الجرائم، بل يعدها قربات وحسنات يثيبهم عليها»[1].

وانطلاقا من قاعدة: أن اليهود معتبرون عند الله أكثر من كل مخلوقاته، اعتبر اليهود أن روح اليهود طاهرة ومخلوقة من روح الله، أما غيرهم فأنجاس، وبالتالي وضع اليهود مقاييس مزدوجة للأخلاق وكيفية التعامل مع البشر، فأجازوا الكذب والنفاق والخداع مع غيرهم، وحرموها فيما بينهم، ولقد أفادنا الدكتور يوسف حنا ذلك بقوله:

«فلقد صرح أحد حاخامات اليهود: بأن الله قد سلط اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم، فالسرقة من الأمميين عندهم لا تعتبر سرقة، بل تعتبر استرداداً لأموالهم.

وينصح حاخام آخر اليهودي بأن يجتهد في غش الجوييم ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وأن قتل اليهودي لغير اليهودي لا يعتبر جريمة عند اليهود، بل هو فعل يرضي الله سبحانه وتعالى في نظرهم.

وقد صرح أحد حاخامات اليهود بأن لليهود الحق في اغتصاب النساء غير المؤمنات، أي غير اليهوديات. وقال آخر: على اليهودي أن يؤدي عشرين يمينا كاذبة ولا يعرض أحد أخوانه اليهود لضرر ما»[2].

٤ ـ أثر البيئة الاجتماعية في تحريف التوراة.

لقد سبق أن رأينا أن أحبار اليهود لم يولوا التوراة العناية الكافية لصيانتها من عبث العابثين، ولم يبال الأحبار بالعبث بالتوراة، وزعموا بأن الحبر يمكنه أن يأتي

---

(١) الخطر اليهودى: ٦١، ٦٢
قال جوزيف باركلي: (بعض أقوال التلمود فيها مغالاة وبعضها كفر، وهى تمثل الحماقة الإنسانية فى قمتها).
Hebrew Literature P. 17
فيما يختص بهذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب:
The Talmud, PP : 30, 31

(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود: ٩٤، ٩٥

بتشريعات جديدة تماثل ما جاء به الأنبياء والرسل، وهذا أدى إلى عدم تثبتهم وتحريهم عن أصالة التعاليم الدينية التي تضم إلى التوراة.

وهذا بالطبع أدى إلى ظهور تأثير البيئات والثقافات المتباينة في التوراة. يقول في ذلك الدكتور جوزيف باركلي: «إن اليهودية المتحررة الحديثة (Modern Libral Jedaism) تؤمن بأن كلا القانونين: المكتوب والشفهي نتاج العبقرية اليهودية الدينية، ولكنها تؤمن بأنه يجب تعديل هذه القوانين من وقت لآخر حسب الحاجة، وانسجاما مع الفكر الديني المعاصر. وكلتاهما ـ الأرثوذكسية والمتحررة ـ متفقتان على أن القانون الشفهي[1] منع القانون المكتوب من التجمد والصرامة بأن أضاف إليه عناصر جديدة وعادات شعبية، وقوانين جديدة، أي أن اليهود استطاعوا تطوير قانونهم ليلائم الظروف الجديدة»[2].

والظروف التي أشار إليها الكاتب: هي البيئة الوثنية التي كانت تحيط باليهود منذ القدم، يدلنا على ذلك تأثر اليهود بديانة «بعل» الوثنية التي كانت سائدة عند الكنعانيين. ومن صور تأثر اليهود بتقاليد الكنعانيين بناؤهم لمعبد يهوى اقتداء بمعبد

---

(١) يمكن للقانون الشفهي ـ بزعم اليهود ـ أن يمحو القوانين الإلهية، ويدلنا على ذلك بعض العبارات التي نقلها صاحب الكنز المرصود من التلمود، ومنها : أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها وتغيرها ولو بأمر الله!! وقد وقع يوما اختلاف بين الباري تعالى وبين علماء اليهود في مسألة، وبعد أن طال الجدل تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الربِّيين، واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور)
انظر كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود : ٤٧
يقول جوزيف باركلي : (إن التلمود يشمل روايات عصر ما بعد التوراة، حيث تمت صياغة جديدة للديانة اليهودية تختلف فى كثير من التفاصيل عما هو مدون فى أسفار التوراة).
Hebrew Literature, P. 14

(٢) التلمود تاريخ وتعاليمه : ٣٣

بعل ألاسطوري الذي بناه الكنعانيون، وليس هذا فحسب، بل إن اليهود قد اشتركوا مع الكنعانيين في عبادة بعل جنبا إلى جنب مع إلههم «يهوى»[1].

كما أن اليهود قد عبدوا آلهة أخرى متعددة على مر العصور، استجابة لدواعي البيئة المتغيرة التي كانوا يعيشون فيها، والثقافات المختلفة التي كانوا يتلقونها من جراء اتصالهم مع القبائل والأمم الأخرى. هذا على الرغم من جهود أنبيائهم المتواصلة لردهم إلى ديانة التوحيد[2]، لكن اليهود ادعوا بأن أنبياءهم[3] قد شاركوهم في عبادة الأصنام، ويصف الدكتور أحمد شلبي حالة اليهود بعد ملك سليمان قائلا: (وفي سلطان الكهنة انتشرت التربية الدينية، ولكن ذلك لم يكف لتحرير عقول العبرانيين من الخرافات والأوهام، ومن عبادة الأوثان، بل ظلت قلل التلال والحراج مأوى الآلهة الأجنبية، ومشهدا للطقوس الخفية، وظلت جماعات كبيرة من الشعب تسجد للحجارة المقدسة، أو تعبد بعل وعشتروت، أو تتنبأ بالغيب على الطريقة البابلية، أو تقيم الأنصاب وتحرق لها البخور، أو تركع أمام الحية النحاسية أو العجل الذهبي، أو تملأ الهيكل بضجيج الحفلات الوثنية)[4].

---

(١) أساطير العالم القديم : ١٨١

ويقول وليام كورتني في عبادة اليهود لبعل جنبا إلى جنب مع يهوى :

(The religion of canaan Baal means lord or owner and designates the male deity who owns the land and controles its Fertility ... it is not surprising than that the Israelites, unaccustomed to the ways of agriculture turned to the god of land they did not mean to turn away from yahweh,... to Yahweh they would look in times of military crisis, and to Baal they would turn for success in agri culture Thus they would serve Yahweh and Baal side by side).

Judea - Christian Heritage, P. 82.

نستنتج كذلك من سفر الملوك الرابع : أن معابد اليهود قبيل الملك يوشيا كانت مملوءة بالمعبودات والأصنام التي تمثل (بعل) وملوك الشمس والقمر، وكل أجرام السماء، وكان الشعب يسجد لها).

سفر الملوك الرابع ٢٣ : ١ ـ ١٥ من الكتاب المقدس العهد القديم ١/٦٦٣، ٦٦٤

(٢) جاء في سفر نبوة أرميا (يقول الرب : إن آباءكم قد تركوني وذهبوا وراء آلهة أخرى وعبدوها وسجدوا لها، وإياي تركوا، وشريعتي لم يحفظوا، وأنتم أسأتم في عملكم أكثر من آبائكم، وها أنتم ذاهبون كل واحد وراء عناد قلبه الشرّير، حتى لا تسمعوا لي)

سفر نبوءة أرميا ١٦ : ١١ ـ ١٢ من الكتاب المقدس العهد القديم ٢/٤٥٦.

(٣) ادعى اليهود بأن سيدنا سليمان عليه السلام عبد عشتاروت

انظر سفر الملوك الثالث ١١ : ١ ـ ٨ من الكتاب المقدس العهد القديم ١/٥٩١

(٤) مقارنة الأديان ـ اليهودية : ١٨٩ ـ ١٩٠.

ومما يدلنا على أن البيئة الاجتماعية والسياسية كان لها أثر في تشكيل اليهودية وصف الدكتور الطنطاوي لطائفة الصدوقين اليهودية بقوله: «وهم ينكرون البعث والحساب، والجزاء، والجنة، والنار، ويقولون: إن جزاء الإنسان إنما يتم في الدنيا، وينكرون كذلك التلمود، وحتى التوراة يرون أنها غير مقدسة قدسية مطلقة، بل للفرد أن يدخل عليها ما يراه مناسبا، ومعظم المنتسبين إلى هذه الفرقة من أغنياء اليهود وأثريائهم ووجهائهم، ويرى بعض الباحثين: أنهم إلى الحزب السياسي أقرب منهم إلى الطائفة الدينية»[1].

ومما يدلنا على تأثر اليهودية بالعوامل السياسية : أن أحد ملوك مملكة إسرائيل أقام أوثانا ودعا شعبه لعبادتها، وذلك لكي يصرفهم عن الافتتان بخصمه الآخر في مملكة يهوذا.

جاء في سفر الملوك: «وعمل عجلين من الذهب، وقال لهم: لا حاجة لكم بعد بالصعود إلى أورشليم، هذه آلهتكم يا إسرائيل، التي أخرجتكم من مصر، وأقام باربعام عيدا كالعيد الذي في يهوذا. . .»[2].

ولقد تعرض اليهود عبر تاريخهم الطويل إلى كثير من الاعتداءات والهزائم والتشريد من جانب الأمم القوية التي كانت تحيط بهم، مما أدى إلى فقدانهم لمعظم الوثائق التي تضمنت نصوص التوراة التي جاء بها موسى، بجانب قتل وتشريد علمائهم الذين كانت لهم معرفة دقيقة ببعض أحكام التوراة، فاضطروا إلى أن يجتهدوا في تعويض ذلك عن طريق استلهام التعاليم القديمة عن أسلافهم، وإضافة بعض الأفكار التي تسربت إليهم من الهام الوثنية، وقد نقل لنا الدكتور جوزيف باركلي ذلك بقوله: «لقد أثبتت الأبحاث التاريخية أن كتب اليهود قد تعرضت لكثير من المصادرة والتحريف، فقد نشبت حروب كثيرة بين اليهود وبعض الامبراطوريات القوية في تلك الأزمان : كالإمبراطورية الرومانية، والبابلية، مما

---

(١) بنو إسرائيل في القرآن والسنة : ٩٨، ٩٩.
حول عبادة اليهود للأوثان، يمكن الرجوع إلى كتاب :
Judea Christian Heritage, P. 82.

(٢) سفر الملوك الأول ١٢ : ٢٩ ـ ٣٣ من الكتاب المقدس العهد القديم ١/ ٥٩٥، ٥٩٦.

تسبب في نهب هيكل اليهود، وإحراق كتبهم المقدسة، وتدمير مدينة أورشليم بأكملها عام ٧٠ م، وكان هذا سببا في ضياع التوراة، مما دفع اليهود إلى إعادة كتابتها مرة أخرى، اعتمادا على رواية بعض الحاخامات الذين ادعوا إلمامهم بها، كيوشيا بن آمون الذي جمع نسخته من التوراة عام ٦٥٩ ق.م، وعزرا الذي جمع نسخته من التوراة عام ٤٤٤ أو عام ٤٣٥ ق.م»[١].

ونستنتج من هذه الأقوال: أن نصوص التوراة التي جاء بها موسى قد ضاعت، ويدلنا على ذلك: انقطاع سلسلة السند بين سيدنا موسى عليه السلام ومؤلفي التوراة المعتبرة لدى اليهود الآن، من أمثال يوشيا بن آمون، الذي ألف نسخته عام ٦٠٩ ق.م، أو عزرا الذي اختلف اليهود في تاريخ تأليف نسخته بين عامي ٤٤٤ ق.م أو ٤٣٥ ق.م.

٥ ـ أصل التوراة في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

إن التوراة ـ كما ورد في القرآن الكريم ـ هي الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على النبي الكريم موسى عليه السلام هداية لقومه بني إسرائيل. قال تعالى: (وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[٢].

قال ابن كثير: (الكتاب يعني التوراة والفرقان وهو ما يفرق به بين الحق والباطل والهدى والضلال)[٣].

---

(١) Hebrew Literature, PP. 36 - 40.
لأجل المعلومات الأساسية عن الأسباب السياسية والاقتصادية التي شكلت اليهودية، ارجع الى كتاب :
The Shaping of Jewish History

(٢) سورة البقرة : آية /٥٣

(٣) جاء في تفسير ابن كثير حديث أخرجه أبو داود الطيالسي بسنده من حديث ابن عباس رضى الله عنه قال : حضرت عصابة من اليهود النبي ﷺ فقال لهم : هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب؟
قالوا : اللهم نعم، فقال النبي ﷺ : اللهم اشهد. وعن ابن عباس : أن إسرائيل كقولك عبدالله. تفسير ابن كثير : ١/٥٧.
أخرجه أبو داود من طريق عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس، (في حديث طويل) ١/٣٥٦، ٣٥٧ (من مسند أبي داود الطبالسى).

وقال تعالى أيضا: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ)[1].

ولقد بين الله سبحانه وتعالى: انه آتى أبناء إسرائيل وأحفاده الكتاب والحكمة، وفضلهم على عالمي زمانهم، ورزقهم من طيبات الدنيا لعلهم يشكرون نعم الله عليهم. قال تعالى (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ)[2].

قال الإمام الرازي في تفسيره للآية السابقة: «المعنى: آتينا بني إسرائيل التوراة لتكون هداية لهم، ومنحناهم الحكمة والفقه في الدين وجعلنا النبوة في عدد كثير منهم، ورزقناهم من طيبات الأغذية والأشربة، وفضلناهم على من عاصرهم من الأمم»[3].

ولقد بين القرآن الكريم كذلك: أن سيدنا موسى عليه السلام هو الرسول الذي كلفه الله سبحانه وتعالى بمهمة تبليغ التوراة لبني اسرائيل، وأن موسى رسول مرسل من رب العالمين كسائر الرسل الذين أرسلهم الله لهداية خلقه، قال تعالى: (ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين)[4].

قال ابن كثير: «ثم بعثنا من بعدهم، أي الرسل المتقدم ذكرهم، كنوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، صلوات الله وسلامه عليهم»[5].

وجاء في سورة الأعراف: (وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ

---

(١) سورة الصف آية ٦

(٢) سورة الجانيه آية ١٦.

(٣) تفسير الفخر الرازي: ١/٣٥٥.

(٤) سورة الأعراف: آية ١٠٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢/٤٠.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ)[٢].

ولقد بين الله سبحانه وتعالى كيف كان ابتداء الوحي إليه، قال تعالى: (وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ)[٣].

كما بين سبحانه وتعالى تأييده لموسى بالمعجزات الحسية بجانب التوراة، قال تعالى: (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى)[٤].

---

(٤) قال ابن كثير في قوله تعالى حقيق على: «قال بعضهم: معناه حقيق بأن لا أقول على الله الا الحق، أي جدير بذلك وحريٌّ به، قالوا: والباء وعلى يتعاقبان، يقال: رميت بالقوس وعلى القوس. وقال بعض المفسرين: معناه حريص على أن لا أقول على الله الا الحق، وقرأ آخرون من أهل المدينة: حقيق عليّ، بمعنى واجب وحق عليّ ذلك، أن لا أخبر عنه إلا بما هو حق وصدق، لما أعلم من جلاله وعظم شأنه». تفسير ابن كثير ٢/٤٠.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٠٤، ١٠٥.

(٣) سورة طه: آية ٩ ـ ١٣.

(٤) سورة طه: آية ١٧ ـ ٢٣.

قال ابن كثير في تفسيره: للآية: «من ها هنا شرع تبارك وتعالى في ذكر قصة موسى، وكيف كان ابتداء الوحى إليه، وتكليمه إياه، وذلك بعد ما قضي موسى الأجل الذى كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم وسار بأهله قاصدا بلاد مصر.. قوله: أو أجد على النار هدى.. دل على أنه قد تاه عن الطريق.. فلما اقترب منها نودى يا موسى، إني أنا ربك الذي يكلمك ويخاطبك.. قوله: وأنا اخترتك لقوله: (إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) أي على جميع الناس الموجودين في زمانه». تفسير ابن كثير ٢: ٤٧٠، ٤٧١.

ولقد بينت السنة النبوية الشريفة كذلك: أن التوراة هي الكتاب المنزل على موسى، ويدلنا على ذلك: الحديث الذي أخرجه الإمام ابن ماجة بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، يخبر عن النبي ﷺ قال: (احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم، أنت أبونا خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة بذنبك!! فقال له آدم: ياموسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل ان يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى، فحج آدم موسى) ثلاثا[1].

لقد اتضح لنا من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة: أن التوراة كتاب الله المنزل على رسوله موسى عليه السلام، بل مدح الله سبحانه وتعالى التوراة في كثير من الآيات، وبين أن فيها مواعظ وحكما نافعة. قال تعالى: (وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ)[2].

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «أخبر الله تعالى بأنه كتب له في الألواح من كل شيء، موعظة وتفصيلا لكل شيء، كتب له فيها مواعظ وأحكاما مفصلة، مبينة للحلال والحرام، وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة، وقيل: الألواح أعطيها موسى قبل التوراة. والله أعلم. . . . »[3].

وقال تعالى أيضا: (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ)[4].

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب في القدر: ١/٣١ ، ٣٢.
حديث أبي هريرة أخرج البخاري نحوه أيضا في كتاب التوحيد، حديث رقم ٨٠. قوله الله عز وجل (وكلم الله موسى تكليما) ١٣/٤٧٧ (من صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري). ١١/٥٠٥.

(٢) سورة الأعراف : آية ١٤٥.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٥٠.

(٤) سورة آل عمران : آية ٢، ٣.

ولقد بين الله سبحانه وتعالى: أن كثيرا من اليهود رفضوا أخذ التوراة، وبعضهم أبى أن يؤمن إلا بالمعجزات الحسية، وأن معظمهم حرفوا التوراة وبدلوها، وحذفوا منها الأشياء التي لا تتفق مع أهوائهم وبدعهم، ولم يتحروا في تحملها وأدائها، فكان سلوكهم هذا مدخلا لتحريف التوراة وتبديلها.

تبين لنا آيات القرآن الكريم أن بعض اليهود قد رفضوا الإيمان بالتوراة وقالوا لموسى: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة: وهذا بالطبع يرجع إلى شكهم في حقيقة الألواح، وعدم وثوقهم بكلام موسى عليه السلام.

بين لنا القرآن الكريم كذلك: أن بعض اليهود حرف التوراة وبدلها كي تتفق مع أهوائهم، قال تعالى في شأنهم: (أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)(١).

نقل ابن كثير أقوال العلماء في الآية، ومنها: قول السدي: هي التوراة حرفوها. وقال ابن زيد في قوله تعالى: (ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون): هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله، ثم يحرفونه بعد ما عقلوه، يجعلون الحلال فيها حراما، والحرام فيها حلالا، والحق فيها باطلا، والباطل فيها حقا)(٢).

قال الله سبحانه وتعالى أيضا في شأن تحريفهم للتوراة: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)(٣).

قال ابن كثير: «أنزل الكتاب الذي جاء به موسى - وهو التوراة - التي قد علمتم وكل أحد: أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران (نورا وهدى للناس)، أي ليستضاء بها في كشف المشكلات، ويهتدى بها في ظلم الشبهات، (تجعلونه قراطيس..): أي تجعلون جملتها قراطيس، أي قطعا تكتبونها من الكتاب الأصلي

(١) سورة البقرة: آية ٧٥.
(٢) تفسير ابن كثير: ١/٨٠.
(٣) سورة الأنعام: آية ٩١.

الذي بأيديكم، وتحرفون منها ما تحرفون، وتبدلون وتتأولون، وتقولون: هذا من عند الله، أي في كتابه المنزل، وما هو من عند الله»[1]. ولقد بينت لنا السنة النبوية كذلك: أن اليهود حرفوا التوراة وبدلوها، ويدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده من حديث ابن عباس، أنه قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث، تتقرءونه محضا لم يشب؟ وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً، لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم»[2].

وهكذا أنكر بعض اليهود التوراة التي أنزلها الله تعالى لهدايتهم، وجحدوا بنعمة الله عليهم، وقبلها بعضهم، ولكنه لم يتحر الدقة في ضبط كتاب الله، وتحمله وأدائه، كما رأينا سابقا، فأضافوا إلى التوراة كثيرا من البدع والأهواء الشخصية ولم ينتفعوا بما فيها من شرائع، لذلك قال تعالى في وصفهم: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1].

ثالثا: مدى التثبت في قبول الأخبار وروايتها عند النصارى

١ ـ أصل الإنجيل كما يراه النصارى:

يعتقد النصارى: بأن الإنجيل[2] هو الأقوال والأمثال التي كان يدلي بها عيسى لحوارييه وأتباعه حال حياته على الأرض، وهم يضيفون إلى ما سبق الأحداث التي أحاطت بعيسى وحوارييه في ذلك الزمان.

---

(١) تفسير ابن كثير: ١/٥٩٨ ـ ٥٩٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة باب: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ١٣/٣٣٣، ٣٣٤ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٣) سورة الجمعة: آية ٥

(٢) إن كلمة إنجيل تعني باللغة العبرية والسامية القديمة: الأخبار السارة، أو البشرى السارة Good News

انظر The New Caxon Encyclopedia Vol 9 P. 2777

ويعتقد النصارى: أن أصل الإنجيل موجود في تنبؤات العهد القديم عند اليهود، ويتمثل ذلك في العبارات الموجودة في تلك الأسفار التي تتحدث عن مجيء المخلص والمنقذ والفادي الذي سيأتي بالميثاق الجديد[1].

ويطلق النصارى اسم الإنجيل على أربعة كتب، وينسبونها لأربعة من المؤلفين وهم: مرقص Mark، ومتى Mathew، ولوقا Luke، ويوحنا John، وهم يطلقون على أناجيل كل من مرقص ومتى ولوقا: اسم الأناجيل السنوبتيكية[2]، وهم يعتبرونها الأناجيل الأولى في المسيحية، ثم يلحقون بها إنجيل آخر: وهو إنجيل يوحنا.

ويضم النصارى أيضا إلى هذه الأناجيل بعض الرسائل والأحداث التي يعتبرونها تاريخية ومهمة. ويسمون الأناجيل وملحقاتها من رسائل بأسفار العهد الجديد.

ويعتقد النصارى: بأن مؤلفي الأناجيل والرسائل والأحداث معصومون من الخطأ، لأنهم كتبوا مؤلفاتهم بوحي من الروح القدس، ويدلنا على ذلك ما كتبه ادوارد بونج في كتابه المسمى بالكتاب المقدس في الميزان: «وإذا ذكرنا أن مجموعة أسفار الكتاب المقدس كتبها كتاب مختلفون ـ وهم رجال متباينو ـ الثقافة، وعاشوا في عصور مختلفة ما بين ألف وخمسمائة وألفين من الأعوام، وعلى مثل هذا التوافق العجيب ـ فإنه ليس هناك تصور آخر يمكن أن يخالج النفس سوى أنهم منقادون بروح الله عندما كتبوها»[3].

---

(١) وهم يقصدون بالميثاق الجديد: أسفار العهد الجديد، ويظنون أن الله قد أبدلهم هذه الأسفار بالعهود والمواثيق القديمة مع بني إسرائيل.
انظر كتاب: New Testament Survey PP. 123, 124.

(٢) إن كلمة سنوبتيك Synoptics كلمة يونانية الأصل، وهى تتكون من شقين: سين Syn، وهي تعني باليونانية، سويا أو معا.
وابتنوميا Optanomia وهى تعني باليونانية: يرى أو يشاهد. ولقد سميت تلك الأناجيل بالسنوبتكية، لأنها تحمل آراء عامة عن حياة السيد المسيح، يرى النصارى: أن تلك الآراء التي تحملها الأناجيل السنوبتكية تتشابه في كثير من الوجوه، على الرغم من الخلاف الظاهر بينها في كثير من الأقوال. انظر: The Dictionary of Christ and the Gospel 2 : 163.
The New Caxon Encyclopedia Vol. 9 P. 2778

(٣) الكتاب المقدس في الميزان: ٦٨ ـ ٧٤.

وتحت عنوان الكتاب البشريون للكتاب المقدس يقول: «من أهم الدراسات اللازمة في عقيدة الوحي: ما أطلقنا عليه في اللغة المبسطة: الجانب البشري في الكتب المقدسة. قال الرسول بطرس: تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس، أو محمولين بالروح القدس. فالكتاب البشريون ليسوا إلا مجرد حملة أقلام يتحركون تحت قيادة الروح القدس»[1].

ويعتبر النصارى الأناجيل التي جمعها المؤلفون كتابا سماويا مقدسا صادرا من الله، وهو أملاه بالإلهام على هؤلاء المؤلفين المؤيدين بروح القدس، ويظن النصارى: أن المؤلفين من حواريي عيسى بن مريم عليه السلام. ولكن النصارى لم يقصروا تأييد روح القدس على الحواريين فقط، بل ظهر من تاريخهم ان تأييد روح القدس قد شمل غيرهم من أصحاب المجامع المختلفة، بل إنهم يزعمون بأن روح القدس لا يزال يؤيد بابوات الكنائس حتى عصرنا الحاضر، مما يبيح لهم أن يبدلوا وأن يعدلوا، وأن يطوروا في الكتاب المقدس حسب أهوائهم، أو حسب ما يتوافق بزعمهم مع روح العصر.

ويتضح لنا هذا مما فعله[2] بابوات الكنائس الأمريكية في القرن العشرين من تغيير بعض نصوص الإنجيل كيما تتوافق مع متطلبات بعض النصارى في القرن العشرين.

من هنا نستنتج : أن النصارى يعترفون بأن الإنجيل في أصله كتاب سماوي مقدس، جاء به عيسى بن مريم عليه السلام، لكنه قد تبدل وتعدل وتطور وتحور على مر العصور، لأنهم قاموا بهذا التحريف والتعديل والتطوير عامدين، بحجة أن سيدنا عيسى عليه السلام قد أمرهم بتبليغ الإنجيل إلى مختلف الأمم، وأنه لا يمانع في تطوير الإنجيل بما يتوافق مع مقتضيات العصر، ومع ثقافات الأمم المختلفة، وهم يزعمون أن عيسى عليه السلام وعد أن يكون حاضرا معهم، وملهما لهم، ومسددا لخطاهم في كل الأوقات، مستندين إلى ما جاء في إنجيل متى من قول

---

(١) الكتاب المقدس في الميزان: ٧٥، ٧٦

(٢) News Week - October 24/1982, P - 49.

منسوب لعيسى فيه: (اذهبوا الآن وتلمذوا كل الأمم، معمدين إياهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى منتهى الدهر)[1].

ولهذا فإن النصارى قد اعتبروا أن مصادر التشريع متعددة، فبجانب الإنجيل توجد مصادر أخرى للتشريع، كقوانين الرسل، وهي تعاليم وكتابات معتمدة لدى كثير من الطوائف المسيحية. ويوجد مصدر آخر للتشريع، وهو قرارات المجامع، أو بمعنى أصح: الآراء التي يضيفها بابوات الكنيسة للدين المسيحي في تجمعاتهم المختلفة عبر القرون.

إن هذه المصادر المتعددة التي ارتضاها النصارى للتشريع في الديانة المسيحية ـ دون تثبت أو تمحيص عن مدى أصالتها ـ هي المدخل الذي أدى إلى تشويه العقيدة المسيحية وتحويلها تدريجيا من عقيدة مبنية على التوحيد ـ كما جاء بها عيسى عليه السلام ـ إلى عقيدة وثنية، قال في ذلك د/ عبدالكريم الخطيب: «فقد تدرجت المسيحية بالمسيح خطوة خطوة، من إنسان يشبه يوحنا المعمدان ـ يحيى بن زكريا ـ إلى انسان فوق الناس، ودون الملائكة، كما يقول عنه بولس[2] في رسالته إلى العبرانيين، إلى كلمة الله، ثم إلى ابن الله، ثم إلى الله ذي الثلاثة أقانيم، بل لقد وصلت المسيحية بالتجسيد إلى أنه لذات الله، أو المسيح الذي هو الله»[3].

---

(١) متى ٢٨ : ١٨، ١٩ من الكتاب المقدس العهد الجديد : ٥٦.

(٢) يزعم بولس في رسالته إلى العبرانيين : بأن الله تعالى قال : «نقصته عن الملائكة قليلا، وكللته بالمجد والكرامة . . وإنما نرى يسوع مكللا بالمجد والكرامة وقد نقص عن الملائكة قليلا».
من رسالة بولس إلى العبرانيين ٢ : ٧ ـ ٩ من الكتاب المقدس العهد الجديد : ٣٨٥

(٣) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل : ١٤٠
لمزيد من المعلومات فى هذا الشأن ارجع إلى كتاب :
Creeds of the churches, pp. 1 - 55.

٢ ـ رهبان النصارى وأثرهم في تحريف الإنجيل.

كان لشعور رهبان النصارى بأن روح[1] القدس يدعمهم عند حفظ الإنجيل وكتابته وتبليغه للناس أثر بالغ في تحريف إنجيل السيد المسيح، بل وفي ضياعه، وأن الزعم بأن روح القدس هو المؤيد لهم أدى إلى الخلط بين أقوال عيسى الرسول، وبين أقوال رهبان النصارى، حتى صعب على علماء البحث والتنقيب عن أصل الديانة المسيحية ـ في القرن الثامن عشر الميلادي وما بعده ـ التمييز بين أقوال صاحب الرسالة الأصلية وبين أقوال بابوات الكنائس.

إن تناقض متون الأناجيل والأخطاء الفاحشة فيها تدل على أن مؤلفي الأناجيل مشتتو الأفكار، وموزعو الأهواء، متنافرون، مما يدل على أنهم لم يلتق بعضهم ببعض، أو لم يعيشوا في عصر واحد. وعلى الرغم من اعتراف علماء اللاهوت والرهبان بتناقض متون الأناجيل إلا أنهم حتى اليوم يصرون بأنهم منقادون بالروح القدس، يدلنا على ذلك ما قاله إدوارد جي بونج: «إن الله عندما أعلن كلمته استخدم الوسيلة البشرية، لقد كان الرجال الذين استخدمهم الله رجالا قديسين عرفوا إلههم وأحبوه، وليس معنى هذا أنهم لم يخطئوا، لقد كانوا خطاة، وبعضهم أخطأ على نحو رهيب، إن داود عليه السلام ـ قد ارتكب من الخطايا ما لا يكاد يغفر، ولكنه مع ذلك كان واحدا ممن كلمهم الروح. لقد كان كتاب الكتاب المقدس خطاة كغيرهم، ولكن رغم خطاياهم فهم أحبوا الله، واستخدمهم الله في إنشاء كتابه. فإذا تحولنا إلى العهد الجديد، رأينا الأمر ذاته، إذ اختلف الكتاب البشريون بعضهم عن بعض إختلافا عظيما، بل لقد بدا كما لو أن الله اختار أناسا معينين ليكتبوا أجزاء معينة من كلمته»[2].

ثم نراه يتوصل إلى النتيجة التالية: «إن كُتَّاب الكتاب المقدس كانوا يتلقون

---

(١) يعتقد رهبان النصارى: أن المسيح قبل صلبه أعطى رهبان النصارى السلطة المطلقة للتصرف في الإنجيل، وأستندوا على ذلك بالآتي: «كما أرسلني الأب كذلك أنا أرسلكم. ولما قال هذا نفخ فيهم، وقال لهم: خذوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه تغفر لهم، ومن أمسكتم خطاياه تمسك لهم».
يوحنا ٢٠ : ٢١ ـ ٢٣ من الكتاب المقدس
العهد الجديد: ١٩٧.

(٢) الكتاب المقدس في الميزان: ٧٨ ـ ٨٠

الوحي فقط وهم يكتبون أسفاره الإلهية المقدسة، ولم يعصمهم الوحي من أن يكونوا طينة أخرى غير طينة البشر . . . إن الكتاب المقدس كلمة الله، وفي الوقت نفسه هو عمل الناس»[1].

ويبين لنا الكاتب جوشيا رويس في كتابه «مشكلة المسيحية» أثر رهبان النصارى في تحريف الإنجيل ـ عندما تناول سيرة الأب بولس ـ قائلا: «إن المؤسس الحقيقي للمسيحية، هو بولس الرسول، ولقد كان بولس يهوديا يكره النصارى، وفجأة أثر رؤيا رآها اعتنق المسيحية، وصار من أبرز دعاتها: إن بولس لم ير المسيح حال حياته إطلاقا، ولكنه رأى الإله الذي هزم الموت، لذلك فإن روح القدس دعمه وسانده في كتابة رسائله التاريخية المشهورة. ولقد ابتدع بولس أفكاراً في الديانة المسيحية، أفكاراً لم يأت بها المسيح، لذلك أرى أنه هو المؤسس الحقيقي للمسيحية التي نعرفها اليوم»[2].

وعلى الرغم من زعم بولس بأنه رسول عيسى، فإنه لم يصن أقوال السيد المسيح، وإن سيرته وأقواله تدلان على ذلك، ويوضح الدكتور أحمد شلبي[3] ادعاء

---

(١) المرجع السابق: ٩٥

(٢) The Problem of Christianity Vol. 1 - P. 29

نجد أن الأب بولس نفسه يعترف بذلك في رسالته إلى أهل غلاطية، حيث قال: «فإنكم قد سمعتم بسيرتي قديما في ملة اليهود، كيف كنت اضطهد كنيسة الله إلى الغاية وأدمّرها».
رسالة بولس إلى أهل غلاطية ١ ـ ١٢
من الكتاب المقدس العهد الجديد ٣٢٨
وجاء في سفر أعمال الرسل الملحق بإنجيل لوقا ما يلي: «وكان شاول لا يزال يقذف تهديدا وقتلا على تلاميذ الرب. فأقبل إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق، إلى المجامع، حتى إذا وجد إناسا من هذه الطريقة رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم) سفر أعمال الرسل ٩ : ١ ، ٢ من الكتاب المقدس العهد الجديد: ٢١٨
ولقد شهد بولس في رسالته الأولى لأهل غلاطية على نفسه بأنه لم ير السيد المسيح إطلاقا، حيث قال: «وأعرفكم أيها الأخوة: أن الإنجيل الذي يبشر به على يدي لم يعلمنيه إنسان، لأني لم أتسلمه أو أتعلمه من إنسان، بل بوحي يسوع المسيح».
رسالة بولس إلى أهل غلاطية ١ ـ ١١ ـ ١٢ من الكتاب المقدس العهد الجديد: ٣٢٧، ٣٢٨.

(٣) مقارنة الأديان ١٠٧
للمزيد من المعلومات فى هذا الشأن اقرأ بولس فى كتاب:
The Problem of Christianity, Vol, 1. PP. 39 - 42

بولس صراحة بأنه الشخص الوحيد الذي ائتمنه السيد المسيح على المسيحية الحقة، ويرفض ائتمان المسيح لأي شخص معه، مما يشكك كل من يتبعه في الأقوال الموجودة لدى أي مدع آخر يدعي تأييد روح القدس له، وهذا مما يشكك في أصالة الأناجيل الأربعة.

نجد كذلك أن الشك يحيط بمدى أصالة الأناجيل وبكون مؤلفيها من حواريي عيسى عليه السلام وبتاريخ تدوين هؤلاء المؤلفين للأناجيل، يقول الشيخ محمد أبو زهرة متشككا في أصالة الأناجيل: «ولقد ذكر بعض المؤرخين أنه لم توجد عبارة تشير إلى وجود أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا قبل آخر القرن الثاني، وأول من ذكر هذه الأناجيل الأربعة أرينيوس في سنة ٢٠٩ م، ثم جاء من بعده كلمنس اسكندريانوس في سنة ٢١٦ م، وأظهر أن هذه الأناجيل الأربعة واجبة التسليم، ولم تكتف الكنيسة باختيار هذه الأناجيل الأربعة، بل أرادت للناس قبولها، لاعتقادها بصحتها ورفض غيرها، وتم لها ما أرادت، فصارت هذه الأناجيل هي المعتبرة دون سواها»[1].

٣ ـ عدم تحمل رهبان النصارى للإنجيل وأثر ذلك على الملة المسيحية:

لقد تبين لنا مما سبق أن رهبان النصارى لم يولوا إنجيل السيد المسيح أي عناية، بل زعموا بأنهم يستطيعون أن يضاهوه بأقوالهم، ويدخلوا فيه ما يحلو لهم، ويحذفوا منه ما يشاءون، مما أدى إلى انقسام النصارى إلى طوائف وفرق عديدة بين موحد لله مؤمن ببشرية المسيح، وبين منكر للتوحيد مؤله للمسيح.

كما تنازع النصارى أيضا حول حادثة الصلب والقيام، حتى صارت حادثة الصلب والقيام هي المحور الذي ارتكز عليه بعض الفرق والطوائف المسيحية حول حقيقة المسيح والمسيحية، فانقسمت المسيحية إلى طوائف وفرق عديدة، وكانوا مختلفي الآراء.

منهم من يقول: إن المسيح ومريم إلهان مع الله، وهم فرقة المريمانية.

ومنهم من يقول: إن المسيح والله يكونان شيئا واحدا، وإن المسيح انبثق[2] عن

(١) محاضرات في النصرانية: ٤٣ لمزيد من المعلومات في هذا الشأن ارجع إلى كتاب: Creeds of the churches.

(٢) تاريخ ابن البطريق ٢ : ١١٤ ـ ١١٧.

الله كانبثاق شعلة النار عن الأخرى، دون أن تؤثر فيها أو تنقص منها، وهم أتباع سبارينون.

ومنهم من يقول: إن عيسى هو كلمة الله، وهم أتباع (إليان).

ومنهم من آمن بأن المسيح له طبيعتان: طبيعة بشرية، وطبيعة إلهية، أو اعتقد بأن الله واحد لكن يسمى بثلاثة أسماء، وهم أتباع بولس الشمساطي.

ومنهم من يقول بمقالة الأب بولس، وهي: إن الله هو المسيح ابن مريم.

إن إنقسام النصارى إلى طوائف وفرق أدى إلى احتدام الصراع والنزاع بينهم، وإلى تكفير بعضهم بعضا. ولكي يدعم كل فريق موقفه أصبح يختلق الآيات والنصوص التي يضيفها إلى الإنجيل ليثبت أصالته وتفوقه على أقرانه من الفرق الأخرى، ولقد أدى هذا الصراع في النهاية إلى إبادة فرق التوحيد، مثل: فرقة البوليانية، والآريوسية، وغيرها، كما جاء في تاريخ ابن البطريق: «لقد كفر النصارى الأب بولس الشمساطي وفرقته التي كانت تسمى بالبوليانية. . . ومقالته التي كفر بها: أنه كان يؤمن بأن الله جوهر واحد، وأقنوم واحد، ولا يؤمن بالكلمة ولا بروح القدس.

وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر أسقفا في مدينة إنطاكية، فنظروا في أمره وفي مقالته، وأوجبوا عليه اللعنة، ولعنوا من يقول بمقالته»[1].

ويقول ابن البطريق أيضا: «وكان بالإسكندرية رجل كافر، يقال: له آريوس. يقول: إن الأب وحده هو الله، والابن مخلوق مصنوع، وكان الأب إذ لم يكن الابن، فقال بطرس - بطريرك الاسكندرية في ذلك الوقت لتلميذيه أشيلا والإسكندروس - إن السيد المسيح لعن آريوس فاحذروا أن تقبلاه، فإني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب، فقلت له: ياسيدي، من شق ثوبك، فقال لي: إنه أريوس، فاحذر أن تدخلاه معكما في الكنيسة»[2].

إعتمادا على ادعاء بطرس كفر بابوات الكنيسة آريوس، ولعن وطرد من الكنائس، ثم تآمر البابوات مع الإمبراطور قسطنطين لاستئصال آريوس وفرقته،

---

(١) (٢) تاريخ ابن البطريق ٢ : ١١٤ - ١١٧.

وتم لهم ما أرادوا في مؤتمر عقدوه بنيقية عام ٣٢٥ م، وفي هذا المؤتمر تم اعتماد الأناجيل الأربعة المعروفة لدى النصارى اليوم من بين عشرات الأناجيل، وأحرقت الأناجيل الأخرى التي تخالفها في الرأي.

مما لا شك فيه: أن عدم صيانة رهبان النصارى للإنجيل أدى إلى ضياع عقيدة التوحيد السمحة وإنكارها، واستبدال فكرة الثالوث بها.

ومما يدل على أن فكرة الثالوث فكرة مبتدعة: أن هذه الفكرة لم تكن مقبولة لكثير من النصارى في باديء الأمر، بل لم تكن معروفة إطلاقا لبعضهم الآخر، يقول في ذلك السيد عبدالكريم الخطيب: «نجد أن الصورة التي رسمها القرار - قرار مجمع نيقية - للألوهية ينقصها الوجه الثالث من وجوه التثليث، وهو روح القدس، فالإيمان الذي يبشر به هذا القرار هو إيمان بالأب والابن فقط. ونستطيع أن نتخذ من هذا القرار وثيقة تاريخية محققة، للقول: بأن التثليث المسيحي لم يكن معروفا إلى سنة ٣٢٥ م، ولم يعترف المؤتمر المنعقد في هذا العام بغير الأب والابن!! كما نستطيع أن نقرر أيضا: أنه إلى ذلك الحين لم يكن المسيح قد دخل ببنوته في شركة مع الله على هذا النحو الذي يجعل منه (الله) مندمجا في إقنومية الآخرين مع الأب وروح القدس... إن المسيحية الى ما بعد منتصف القرن الرابع لم تكن قد استكملت حقيقتها بعد، وما زال موقف المسيح متأرجحا مضطربا بين الإله والإنسان»[1].

ولقد كانت هناك فرق في القرن الثاني الميلادي تنكر فكرة قيام المسيح ثانية، ويقولون: بأن القيام شبه لبعض النصارى فتمسكوا به على أنه حقيقة ثابتة.

يقول في ذلك جوش مكدويل: (أما حديث جستين مارتن عن القيامة (١٠٠ - ١٦٥) فهو دفاع عن العقيدة المسيحية، وكان معاصروه يقولون: إن القيامة مستحيلة، بل إنها غير معقولة. وكان المعاصرون يقولون: إن قيامة المسيح شبهت لهم)[2].

---

(١) المسيح في التوراة والقرآن والإنجيل: ٢٢٨ - ٢٢٩.
إن تأليه روح القدس كان عام ٣٨١م، وذلك في مؤتمر القسطنطينية المرجع السابق: ٢٥١.
للمزيد من المعلومات في هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى:
Creeds of The Churches, PP : 28 - 31
Early Christian Doctorines PP : 142 - 144.

(٢) برهان يتطلب قراراً: ٢٢٨، ٢٢٩.

ولقد شذ كثير من الرهبان أمثال البرت شواتزر[1]، وأنكر أن تكون شخصية المسيح شخصية حقيقية، وقال: بأن الديانة المسيحية ما هي في حقيقتها إلا ديانة انبنت على الوهم واستمرت فيه.

إن عدم تحمل رهبان النصارى للإنجيل أوقع رهبان وفلاسفة الدين المسيحي في الحيرة والارتباك والخروج عن الديانة المسيحية في كثير من الأحيان، وكذلك رأينا أن عدم تحمل رهبان النصارى للإنجيل وأدائه أدى إلى تحول الملة المسيحية من ديانة التوحيد إلى ملة وثنية تشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا.

٤ ـ أثر البيئة الاجتماعية في تحريف الإنجيل:

لقد اعترف علماء اللاهوت في الغرب بأن البيئة الاجتماعية كان لها أثر كبير في تشكيل الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد، ومن أمثلة ذلك ما أورده هاوارد مارشال في كتابه
The Fourth Gospel in Recent Criticism and :interpretation.
«إن يوحنا صاحب الإنجيل الرابع كان متأثرا بفكرة «اللوجوس» عند اليونان وبفكرة تجسيد الآلهة التي كان يؤمن بها الرومان، لذلك نراه يدخل تلك الأفكار في الديانة المسيحية، وهو الذي جعل عيسى أزليا مع الله ومتحدا فيه»[2].

ويقول بارينز تاتوم في كتابه The Quest of Jesus : «إن بولس كان يتمتع برهافة الحس، وكان من اليهود المتحررين الذين لا يمانعون من تطوير الديانة اليهودية حسب مقتضيات البيئة والظروف الاجتماعية، وذلك من أجل إنعاش الديانة المسيحية وتجديدها.

إن خلفيات بولس الفلسفية قد أثرت في فهمه لرسالة السيد المسيح، وفي ترجمة تلك الرسالة وإعادة صياغتها بما يتوافق مع الأفكار الفلسفية والتوجيهات الثقافية التي كانت سائدة في ذلك العصر.

وعلى الرغم من محاولة بولس ربط الفلسفة بالدين، إلا أنه كان مضطربا في أفكاره ومواقفه الفلسفية، فتراه مرة يصرخ بأن عيسى هو ابن الإله الواحد،

---

(١) اقرأ كتاب : In the Quest of Jesus : 71

(٢) The Fourth Gospel in Recent Criticism and Interpretation : 293.

«يهوى»، إله اليهود، ومرة يقول: إن يهوى نفسه جاء وتجسد في صورة عيسى، ومرة أخرى يقول: إن عيسى لم يكن مساويا للإلهٰ في ألوهيته على الرغم من سمو قدره، ثم يعود فيقول: بأن عيسى إله كامل في ألوهيته»[1].

لقد تأثرت الأناجيل كذلك برؤى وأحلام المؤلفين، حيث كان الرهبان يعاملون الرؤى معاملة الواقع، ويدلنا على ذلك ما أورده جوستاف أولين في كتابه Jesus[2] حيث قال: «إن معظم الأحداث التي سجلت بالأناجيل استقاها أصحاب الأناجيل من رؤاهم وأحلامهم، زاعمين بأن المسيح خاطبهم أثناء نومهم وأمرهم بتسجيل تلك الأقوال، وبالتالي أصبحت تلك الرؤى والأحلام أساسا للمسيحية التي نعرفها في الغرب اليوم، وتقول بعض الأبحاث: إن تلك الرؤى استمرت تنهال على الحواريين وغيرهم في فترة الأربعين يوما الأولى بعد صعود عيسى»[2].

وهكذا يتضح لنا من الأقوال المذكورة سابقا: أن النصارى في فترة المسيحية الأولى كانوا يؤمنون إيمانا عميقا بما يرون في أحلامهم، وكانت الرؤى لديهم بمثابة الحقائق الثابتة، وأنهم استندوا على الرؤى حتى عند اختيارهم لمن سيخلف البابا في منصبه، ويتضح ذلك من سِيرِ البطارقة حيث قال سيبولد: «وعند وفاة بوليانوس البطرك جاء إليه ملاك الرب فيَ منامه ليلة وفاته وقال له: الذي يدخل لك في غد بعنقود عنب هو البطرك بعدك، فلما أصبح جاء إليه رجل فلاح يحمل عنقود عنب. . . فقال بوليانوس البطرك للشعب: هذا بطرككم، كما قال لي ملاك الرب البارحة، فأخذوه قهرا وقيدوه بقيد حديد. . . وحلت عليه النعمة الإلهية، وصار خليفة لبوليانوس في مصر»[3].

ويمكننا كذلك أن نقول: بأن الفلسفات والديانات القديمة كان لها أثر كبير في تشكيل القصص والأمثال والحكم المسطرة في الأناجيل، فمفهوم الإله الذي من ثلاثة أقانيم كان سائداً عند الأمم التي كانت تحيط بالمسيحية، يقول في ذلك الدكتور أحمد شلبي: «قبل ظهور المسيح كانت هناك معابد كثيرة تقدس عدداً كبيراً من الآلهة، فهناك مثلا أبلو الذي كان يقدسه الإغريق، وهيروكوليس إلهٰ الرومان،

---

(١) The Quest of Jesus : 100

(٢) Jesus P.P. 128, 129.

(٣) سير الآباء البطاركة: ٢٦.

ومثرا معبود الفرس، وأدونيس معبود السوريين، وأوزوريس وايزيس وحورس معبودات المصريين، وبعل معبود البابليين، وسواهم كثيرون، وكانت هذه الآلهة تعتبر كلها من نسل الشمس، وفي هذه الأديان أو أكثرها توجد المعتقدات الآتية :

- كل هذه الآلهة ينسب لها أنها ولدت في نفس الفترة، أو الشهر، أو الموسم الذي ينسب لعيسى أنه ولد فيها.
- كل هؤلاء ولدوا في كهف تحت الأرض.
- كلهم عاشوا حياة فيها عناء من أجل الجنس البشري.
- كلهم كانوا ينعتون بالمخلص والمنقذ الوسيط.
- كلهم قهروا بقوى الشر والظلام.
- ألقى بهم بعد هزيمتهم في المدافن والنيران السفلى.
- هبوا جميعا من مدافنهم بعد الموت، وصعدوا إلى عالم السماء.
- أرسوا جميعا حلفاء لهم ورسلا ومعابد.

ويتضح لنا: أن المسيحية اقتبست كل هذه المعتقدات»[1].

ولقد أثرت العوامل السياسية أيضا في تحريف الديانة المسيحية، وتدلنا على ذلك قصة اعتماد الأناجيل الأربعة في مؤتمر نيقية عام ٣٢٥ م، بأمر من الإمبراطور قسطنطين وحلفائه، إيمانا منهم بفكرة تأليه البشر، وكذلك نراهم يؤلهون عيسى عليه السلام وينكرون بشريته الكاملة.

ويمكننا أيضا أن نستنتج : أن النصارى استمروا في تأثرهم بالبيئة واقتباسهم منها بما حدث في القرون الوسطى[2] للمسيحية، حيث كان الدجل والشعوذة هما الطابع المميز لتلك الفترة من العصور المظلمة في أوربا، ولقد شجع البابا جروجري الأول ـ والذي تسلم كرسي البابوية بروما في القرن السادس الميلادي ـ المشعوذين والدجالين، بحجة أنهم يستطيعون أن يأتوا بمعجزات شبيهة بمعجزات السيد المسيح، وفي عهد جروجري انتشرت المسيحية عن طريق الشعوذة والدجل في معظم

---

(١) مقارنة الأديان المسيحية : ١٧٦ ـ ١٧٧.
فيما يختص بهذا الموضوع انظر الفصل الأخير من كتاب The Problem of Christianity Vol, 1.

(٢) في هذا الشأن انظر كتاب : A Source Book For Medieval History PP. 85 - 86.

البلدان المجاورة لروما، حتى صارت الشعوذة والدجل الطابع المميز للديانة المسيحية في القرون الوسطى.

٥ ـ أصل الإنجيل في القرآن الكريم والسنة الشريفة:

إن الإنجيل كما هو معروف لدى المسلمين: هو كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى على سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، ليحكم به في بني إسرائيل وليوجههم به إلى الحق بعد أن ضلوا عنه، قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾[1].

قال الإمام الرازي في تفسيره للآية: «فأعلم أنه تعالى أنزل التوراة والإنجيل قبل أن ينزل القرآن ثم بين أنه إنما نزلهما هدى للناس، والمراد بالفرقان المعجزات التي قرنها الله تعالى بإنزال هذه الكتب.... حتى يحصل الفرق بين دعواهم وبين دعوى الكذابين.

فلما أظهر الله تعالى على وفق دعواهم تلك المعجزات، حصلت المفارقة بين دعوى الصادق ودعوى الكاذب، فالمعجزة: هي الفرقان.

فلما ذكر الله تعالى أنه ينزل الكتاب بالحق، وأنه أنزل التوراة والإنجيل من قبل ذلك، بين أنه تعالى أنزل معها ما هو الفرقان الحق، وهو المعجز القاهر الذي يدل على صحتها، ويقيد الفرق بينها وبين سائر الكتب المختلفة»[2].

ولقد بينت السنة النبوية الشريفة كذلك: أن الإنجيل كتاب منزل من عند الله في الحديث الذي أخرجه الإمام الترمذي بسنده، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاءت فاطمة إلى النبي ﷺ تسأله خادماً، فقال لها: قولي: اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والقرآن فالق الحب والنوى... الحديث»[3].

---

(١) سورة آل عمران: ٣

(٢) تفسير الفخر الرازى ١٧٣/٧، ١٣/٢٣.

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب الدعاء ١٣/ ٢٣ من سنن الترمذي بشرحه عارضة الأحوذي وقال: هذا حديث حسن غريب.

إن الله سبحانه وتعالى اختار عيسى بن مريم من بيت آل عمران، وكلفه بمهمة تبليغ الإنجيل لبني إسرائيل. ولقد رمى اليهود أمه بالزنى لولادته بدون أب، لكن الله سبحانه وتعالى برأ أمه، وبين لليهود أن مولده كان معجزة وآية من آيات الله.

قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾[1].

قال الرازي في تفسيره للآية: «كما نسب اليهود مريم إلى الزنى لإنكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من دون الأب، صار هذا الطعن بهتانا عظيما، لأنه ظهر عند ولادة عيسى عليه السلام من الكرامات والمعجزات ما دل على براءتها من كل عيب، نحو قوله: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[2]. ونحو كلام عيسى عليه السلام حال كونه طفلا منفصلا عن أمه، فإن كل ذلك دلائل قاطعة على براءة مريم عليها السلام من كل ريبة»[3].

ولقد بين القرآن الكريم بشرية عيسى واشتراكه مع سائر خلق الله في عبادة الله الواحد، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[4].

وفي هذه الآية هدم لجميع مباديء النصارى التي بنوها حول تأليه المسيح، ودعوتهم إلى تنزيه الله سبحانه وتعالى، يقول الرازي في تفسيره: «واعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهات اليهود تكلم بعد ذلك مع النصارى في هذه الآية والتقدير: يا أهل الكتاب من النصارى، لا تغلوا في دينكم، أي لا تفرطوا في تعظيم المسيح، وذلك لأنه تعالى حكى عن اليهود أنهم يبالغون في الطعن في المسيح، وهؤلاء

---

(١) سورة النساء: آية ١٥٦

(٢) سورة مريم آية: ٢٥.

(٣) تفسير الفخر الرازي ١١/٩٨.

(٤) سورة النساء: آية ١٧١.

النصارى يبالغون في تعظيمه، وكلا طرفي قصدهم ذميم، فلهذا قال للنصارى: لا تغلوا في دينكم، ولا تصفوا الله بالحلول والاتحاد في بدن الإنسان وروحه، ونزهوه عن هذه الأحوال»[1].

بيّن الله سبحانه وتعالى أن اختيار عيسى لتبليغ الرسالة وتأييده بالإنجيل والمعجزات الحسية نعمة أنعم الله بها عليه، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[2].

ولقد تبين من القرآن الكريم أن بني إسرائيل جحدوا نبوة عيسى عليه السلام، وأنكروا رسالته على الرغم من أنه رسول مرسل لهدايتهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[3]. وتبين من القرآن كذلك ان الحواريين وقفوا إلى جانب عيسى وناصروه، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[3].

وهكذا صرح القرآن الكريم بأن الحواريين آمنوا برسول الله عيسى، ولم يزعموا بأنه إلٰه قط.

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١١/١١٥
(٢) سورة المائدة : آية ١١٠
(٣) سورة الصف : آية ٦
(٤) سورة آل عمران : آية ٥٢ ـ ٥٣

ولقد ركز القرآن الكريم على حادثة الصلب وبين فسادها، لأنها المحور الذي تدور حوله الديانة المسيحية كلها، بل إن جميع مبادىء المسيحية وأركانها الأساسية[1] تدور حول هذه الحادثة المختلقة.

إن القرآن لم ينكر أن شخصا صلب في ذلك الوقت، بل بين ووضح أن المصلوب هو شخص آخر، ولقد شُبِّه لليهود بأنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم، لكن الله تعالى بين أنه ألقى شبهه على شخص آخر، وفي ذلك يقول تعالى: (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)[2].

قال البيضاوي في تفسيره للآية: «روي أن رجلا كان ينافق لعيسى فخرج ليدل عليه، فألقى الله عليه شبهه، فأخذ وصلب وهم يظنون أنه عيسى، وروي أنه عندما رفع عيسى وألقى شبهه على غيره فقتلوه قالوا: إن كان هذا المقتول عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ واختلفوا فقال بعضهم: هو عيسى. وقال بعضهم: بل هو غيره. فأجمعوا أن شخصا قد قتل، واختلفوا من كان.

قوله (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) أي ما لهم بقتله علم حقيقي، ولكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه: أي قتلا يقينا كما زعموه بقولهم: إنا قتلنا المسيح»[3].

ونقول باختصار: إن القرآن الكريم بين أن النصارى ضلوا بعد ذهاب عيسى، وانقسموا شيعا وأحزابا، وطمسوا الحق وغلفوه بغلاف الباطل، وكذبوا على الله ونسبوا له الولد، وزعموا بأن الله ثالث ثلاثة، وآمنوا بتعدد الآلهة، وشوهوا ديانة التوحيد السمحة التي جاء بها عيسى بن مريم عليه السلام.

---

(١) إن أهم المبادىء التي تقوم عليها المسيحية هى: مبدأ الثالوث، مبدأ الخطيئة الأولى، مبدأ الطلب، مبدأ اللاهوت الخلاصي، مبدأ الحلول في جسد المسيح المتمثل في ملازمة الكنائس والصوامع. للمزيد من المعلومات حول مبادىء النصارى يمكنك الاطلاع على كتاب: Early Christian Doctrines.

(٢) سورة النساء: آية ١٥٧ - ١٥٨.

(٣) تفسير البيضاوى: ١٤١

وفيما يختص بهذا الموضوع جاء في القرآن مما يلي: (قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ »[1].

جاء في القرآن الكريم أيضا ما يلي: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

رابعا: التثبت في قبول الأخبار وروايتها عند المسلمين

١ ـ أصل القرآن الكريم والسنة الشريفة:

أ ـ أصل القرآن

إن القرآن الكريم: هو الكتاب السماوي الموحى به إلى سيدنا محمد ﷺ، وهو الكتاب المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا عن طريق التلقين والحفظ والكتابة، متواترا عن رسول الله ﷺ، عن سيدنا جبريل عليه السلام، عن الله عز وجل. وهو الكتاب المعجز الذي تحدى به الله سبحانه وتعالى الإنس والجن جميعهم على أن يأتوا بمثله، كما تحدى به العرب الذين كانوا يتباهون بفصاحتهم وبلاغتهم وتمكنهم من البيان أن

(١) سورة مريم آية: ٣٠ ـ ٣٧

(٢) سورة المائدة آية: ٧٢ ، ٧٣

يأتوا بعشر سور من مثله، فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا ولو بسورة واحدة فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا. قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1] وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)﴾[3].

إن القرآن وحي سماوي، وهو معجزة باقية، لأن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظه وصونه. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[4]. والقرآن كتاب سماوي مصدق للكتب السابقة عليه، جاء لينقي العقائد والنظم التي جاء بها أنبياء الله السابقون، ويطهرها من البدع الوثنية التي غلفتها وأحاطت بها عبر العصور، حتى كادت أن تطمس معالمها، وجاء القرآن كذلك ليبريء أنبياء الله ورسله مما رماهم به أهل الكتاب من التهم والافتراءات التي لا تليق بحالهم، فالقرآن الكريم إذن هو الوحي الإلهي الخاتم لرسالات السماء السابقة.

إن القرآن هو المصدر الأول للتشريع في الإسلام، وهو كلام الله.

أما مهمة الرسول ﷺ فقد انحصرت في وعيه وحفظه - كما أنزل عليه - ثم نقله نقلا صحيحا، وتبليغه بكل أمانة وإخلاص إلى صحابته ليدونوه تدوينا صحيحا، ويحفظوه، ويتدارسوه، وليقوموا هم كذلك بمهمة تبليغه للأجيال التي تليهم.

---

(١) سورة الاسراء: آية ٨٨.
(٢) سورة هود: آية ١٣ - ١٤.
(٣) سورة البقرة: آية ٢٣، ٢٤.
(٤) سورة الحجر: ٩.

ولقد بلغ الأمر بالنبي ﷺ عند تلقيه القرآن أنه كان يسارع فيحرك به لسانه حرصا على حفظه، قال تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[1].

ومن هنا يتضح لنا أن القرآن ماهو إلا وحي من عند الله، وهو كلام الله، وأن النبي ﷺ بشر رسول مكلف بتبليغه للناس.

ولقد بين القرآن الكريم كثيرا من الحقائق التاريخية الماضية، وتنبأ بأشياء مستقبلية، وحوى كثيراً من الحقائق التي تتعلق بالكون من حولنا، مما يدل دلالة واضحة على أنه وحي من عند الله سبحانه وتعالى. وبخاصة إذا علم أنه أنزل على نبي أمي لم يسبق له ولا لقومه العلم بهذه الحقائق التي بلغها للناس بعد أن بلغ الأربعين من عمره.

ب ـ أصل السنة

إن السنة في اللغة هي الطريقة المسلوكة والمعتادة في الحياة[2]. وفي اصطلاح المحدثين: هي ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية.

ويطلق على السنة الشريفة: الحديث الشريف.

والحديث في اللغة[3]: الكلام الذي يتحدث به وينقل بالصوت أو الكتابة.

وفي اصطلاح المحدثين: هو مرادف للسنة عند جمهور العلماء، وذهب قوم إلى اختصاصه بما صدر عن النبي ﷺ من قول دون الفعل[4] والتقرير.

والحق أن الأصل في الوضع اللغوي للسنة: هو الفعل والتقرير، والأصل في الحديث هو القول، ولكن بما أن كليهما هنا يرجع إلى ما صدر عن النبي ﷺ فلذلك مال أكثر المحدثين والأصوليين إلى تناسي أصليهما اللغوي والاصطلاح بهما على شيء واحد، والقول بأنهما مترادفان.

---

(١) سورة القيامة : ١٦ ـ ١٩.

(٢) لسان العرب ٢/٢٢١.

(٣) لسان العرب ١/٥٨٢.

(٤) انظر ماهية الحديث والخبر والأثر في كتاب قواعد التحديث : ٦١.

والسنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام، ولذا قال بعض العلماء ـ كابن حزم ـ: هي[1] من الذكر الذي وعد الله تعالى بحفظه في قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. لقد أمرنا الله سبحانه بالأخذ بالسنة الشريفة في كثير من الآيات، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2].

إن السنة النبوية الشريفة في اصطلاح المحدثين: هي أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية.

ومن أمثلة السنة القولية ما أخرجه الإمام البخاري بسنده، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: (آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم) الآية[3].

ومن أمثلة السنة الفعلية: الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري بسنده من حديث عبدالله بن زيد: أنه أفرغ من الإناء على يديه فغسلها، ثم غسل أو مضمض واستنشق من كفة واحدة، ففعل ذلك ثلاثا فغسل يديه إلى المرفقين مرتين، مرتين ومسح برأسه ما أقبل وما أدبر، وغسل رجليه إلى الكعبين، ثم قال هكذا وضوء رسول الله ـ ﷺ ـ)[4].

ومن أمثلة السنة التقريرية: الحديث الذي أخرجه الإمام أبو داود بسنده من حديث عمرو بن العاص قال: «احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت أن أغتسل فأهلك، فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: ياعمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني

---

(١) الإحكام فى أصول الأحكام: ٣٢١/٢

(٢) سورة الحشر: آية ٧

(٣) أخرجه البخارى في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبى ﷺ، لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ٣٣٣/١٣ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب من مضمض واستنشق من غرفة واحدة ٢٩٧/١ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: (٤ : ٢٩) ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما). فضحك النبي ﷺ ولم يقل شيئا»[١].

أما الصفات الخلقية فهي تظهر من الأحاديث التي يصف فيها الصحابة رضوان الله عليهم خلق رسول الله ﷺ، من جود وكرم وأدب وحلم وما إلى ذلك، ومن أمثلة ذلك ما أخرجه الإمام البخاري بسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فاذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة)[٢].

أما الصفات الخلقية: فهي الأحاديث التي فيها وصف خِلقَةِ رسول الله ﷺ، كالحديث الذي أخرجه البخاري بسنده عن أنس بن مالك يصف النبي ﷺ، قال: كان ربعة من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون، ليس بأبيض أمهق، ولا آدم، ليس بجعد قطط ولا سبط رجل. أنزل عليه وهو ابن أربعين، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه، وبالمدينة عشر سنين، وقبض وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، قال ربيعة: فرأيت شعراً من شعره فإذا هو أحمر، فسألت فقيل: أحمر من الطيب)[٣].

إن النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وهو العاقب الذي ليس بعده نبي، فهو خاتم أنبياء الله ورسله.

ويدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده عن محمد بن جبير، بن مطعم، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لي خمسة أسماء: أنا محمد

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب إذا خاف الجنب البرد أيتيمم؟ ١/٢٠٧ حديث رقم ٣١٥ (من مختصر سنن أبي داود).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصيام، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان ٤/١١٦ (من صحيح البخاري يشرحه فتح الباري).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ٦/٥٦٤ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب»[1]

ويدلنا على ذلك الحديث الذي ساقه البخاري بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[2].

قال ابن حجر: في الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام، وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين، وأن الله ختم به المرسلين، وأكمل به شرائع الدين[3].

٢ ـ تثبت علماء المسلمين في حفظ القرآن والسنة وتدوينهما:

أولا: تثبت المسلمين في حفظ وتدوين القرآن الكريم:

لقد ثبت تاريخيا بما لا يدع مجالا للشك: أن القرآن الكريم كتب بين يدي النبي ﷺ، وأنه حفظ في الصدور حفظا دقيقا، وكذلك كتب في السطور بمنتهى الدقة، ومازال القرآن الكريم يتلى ويتعبد به آناء الليل وأطراف النهار منذ ذلك الحين، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك لأن في حفظه وتلاوته عبادة وبركة وطهوراً للمسلمين، ولا يوجد ما يضاهي القرآن من الكتب السماوية في دقة التوثيق، والنقل والتدوين، والحفظ والتداول، إلى يومنا هذا، ولقد كان النبي ﷺ يحرص على تلقيه وحفظه وتبليغه لصحابته، وأن جبريل عليه السلام كان يعارض النبي ﷺ بالقرآن في كل عام مرة، وفي العام الذي توفي فيه عارضه به مرتين. أخرج الإمام البخاري تعليقا من حديث عائشة، عن فاطمة رضي الله عنهما أنها قالت:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ٦/٥٥٤ (من صحيح البخاري يشرحه فتح الباري).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب خاتم النبيين ٦/٥٥٨ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/٥٥٨.

«أسر إليّ النبي ﷺ أن جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي»[1].

ولقد اتخذ النبي ﷺ الكتاب الثقاة المجيدين، لتدوين القرآن الكريم، والذي كان يدون في الرقاع والعظام واللخاف، وما إلى ذلك، ومما يدلنا على ذلك: الحديث الذي أخرجه الإمام الترمذي بسنده من حديث ابن عباس، عن عثمان رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا نزلت عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»[2].

ولقد حث الرسول ﷺ صحابته على التحري والأخذ عن الحفاظ المتقنين الذين يجيدون قراءة القرآن وحفظه وتلاوته وكتابته، ومن أمثلة ذلك: الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم بسنده عن مسروق قال: ذكروا ابن مسعود عند عبدالله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «استقرئوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل»[3].

ولقد اشتهر الصحابة بالحفظ والإتقان، حتى كان هناك أناس اشتهروا باسم القراء، قتل منهم سبعون يوم بئر معونة، وذلك في السنة الرابعة من الهجرة، مما يدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يبادرون بحفظ كل ما ينزل عليهم، ولا يتهاونون في ذلك. وأن النبي ﷺ كان يشجعهم على الحفظ، لأن فيه عبادة لهم، فقد

---

(١) أخرجه البخاري تعليقا في كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ: ٣٣/٢٠ (من صحيح البخاري شرحه عمدة القاري. حديث عائشة رضي الله عنها، وصله البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦٢٧/٦، ٦٢٨ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب سورة التوبة ٤٧٨/٨ ـ ٤٨٠. من الترمذي بشرحه تحفه الأحوذي، وقال حديث حسن.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عبدالله بن مسعود وأمه ١٨/١٦ ، ١٩. (من صحيح مسلم بشرح النووي).

أخرج الإمام الترمذي بسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1].

ما توفي رسول الله ﷺ إلا والقرآن الكريم كله محفوظ في صدور صحابته، ومكتوب في الصحف والمواد. واستمرت عناية الصحابة رضوان الله عليهم بالقرآن الكريم بعد أن لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، فقد اهتم الصحابة في عهد أول الخلفاء الراشدين أبي بكر الصديق رضي الله عنه بجمع القرآن مرتبا في صحف، خشية أن يضيع بتفرق الصحف ووفاة أصحابها، ويدلنا على هذا الحرص: أن سيدنا عمر بن الخطاب أشار على أبي بكر بجمع القرآن.

فقد أخرج الإمام البخاري بسنده، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، تتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم . . .)، حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في تعليم القرآن ٢٢٢/٨ من سنن الترمذي بشرحه تحفة الأحوذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ١٦/٢٠ (من صحيح البخاري بشرحه عمدة القاري).

وقد روى الإمام أبو داود بسنده عن علي بن أبي طالب أنه قال: أعظم الناس أجرا في المصاحف: أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع القرآن بين اللوحين.

ولما اتسعت رقعة البلاد الإسلامية في زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه، واختلط العرب بغيرهم، وقرأ كل أهل مصر عن مقرئهم، واختلف الناس، وخطأ بعضهم بعضا في القراءات، رأى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن يحدث عثمان بجمع الناس على مصحف واحد، ففعل عثمان رضي الله عنه بوصية الصحابي الجليل حذيفة الذي كان أمين سر رسول الله ﷺ.

لقد وجد حديث حذيفة قبولا في نفس سيدنا عثمان رضي الله عنه، فبذل غاية الجهد في التدقيق والتثبت والتحري في جمع القرآن على حرف واحد، كما جاء في كتاب مناهل العرفان حيث أورد الكاتب ما نصه:

«وشرع عثمان في تنفيذ هذا القرار الحكيم حول أواخر سنة أربع وعشرين، وأوائل سنة خمس وعشرين من الهجرة، فعهد في نسخ المصاحف إلى أربعة من خيرة الصحابة وثقات الحفاظ، وهم: زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وهؤلاء الثلاثة الأخيرون من قريش.

وأرسل عثمان إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر فبعثت إليه بالصحف التي عندها، وهي الصحف التي جمع القرآن فيها على عهد أبي بكر رضي الله عنه. وأخذت لجنة الأربعة هؤلاء في نسخها، وجاء في بعض الروايات: أن الذين ندبوا لنسخ القرآن كانوا اثني عشر رجلا، وما كانوا يكتبون شيئا الا بعد ان يعرض على الصحابة، ويقر أن رسول الله ﷺ قرأ على هذا النحو الذي نجده الآن في المصاحف»[1].

إن حذيفة رأى اختلاف المسلمين في القراءات ونزاعهم وتخطئة بعضهم بعضا، فخشي أن يتنازعوا تنازع أهل الكتاب، يدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري، من حديث أنس رضي الله عنه: «أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق،

(١) مناهل العرفان ١/ ٢٥٠

فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف: وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فأكتبوه بلسان قريش؛ فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق»[1].

نجد أن الصحابة رضوان الله عليهم قد بلغوا بتدوين القرآن أعلى درجات التوثيق، فلم يحذفوا منه أو يضيفوا إليه أو يحرفوا فيه، حتى حرفا واحدا، بل جمعوه ووثقوه تماما، كما أنزل على رسول الله ﷺ، وظل المسلمون يحفظونه عن ظهر قلب ويتعبدون بتلاوته ليلا ونهارا دون كلل أو ملل.

ثانيا: تثبت المسلمين في تلقي السنة الشريفة وتدوينها.

حرص صحابة رسول الله ﷺ على سماع الحديث الشريف وحفظه ومذاكرته فيما بينهم، وكان الشاهد منهم يبلغ الغائب، امتثالا لأمر رسول الله ﷺ، يدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه ابن ماجه بسنده، عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله ﷺ: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها. فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[2].

ولقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم على حفظ سنة رسول الله ﷺ بجانب حفظهم للقرآن الكريم وحرصهم عليه، لأن القرآن الكريم نفسه يحث على التمسك بالسنة والعمل بها، كقوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا). فأخذ الصحابة سنة رسول الله وتحروا الأمانة والدقة في نقلها لغيرهم، كما سمعوها منه ﷺ، لأن رسول الله ﷺ حذر من الكذب عليه، ويدلنا على ذلك

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ١٧/٢٠ (من صحيح البخاري بشرحه عمدة القاري)

(٢) أخرجه بن ماجه في المقدمة، باب من بلغ علما ٨٤/١، ٨٥ حديث رقم ٢٣٠

الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: «إنه يمنعني أن أحدثكم حديثا كثيرا أن النبي ﷺ قال: «من تعمد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار»[1].

لقد كان الصحابة والتابعون ينبهون على خطورة الكذب على رسول الله ﷺ، ولا يحدثون السفهاء وأصحاب الأهواء خشية أن يدخلوا فيه البدع، ومما يدلنا على ذلك: ما نقله الخطيب البغدادي عن مسروق أنه قال: «نكد الحديث الكذب، وآفته النسيان، وإضاعته أن تحدث به غير أهله»[2].

ولقد بلغ الحرص بالصحابة أن لا يحدثوا من عارضه الكسل والفتور. نقل الخطيب أيضا قول ابن مسعود رضي الله عنه: «حدث القوم ما أقبلت عليك قلوبهم، فإذا انصرفت قلوبهم فلا تحدثهم، قيل له: ماعلامة ذلك؟ قال: إذا حدقوك بأبصارهم، فإذاً تثاءبوا واتكأ بعضهم على بعض فقد انصرفت قلوبهم، فلا تحدثهم»[3].

وكان بعض الصحابة لشدة حرصهم على التحري يوضحون للسامع إن كانوا قد سمعوا الحديث بأنفسهم من الرسول ﷺ أم أخذوه عن صحابي آخر، يدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه ابن ماجه، عن عروة، عن أبيه (الزبير)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يصلي الليل ثلاث عشرة ركعة»[4].

فهذا الحديث لم يسمعه الزبير رضي الله عنه من رسول الله ﷺ مباشرة، إنما سمعه من عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ، وقد وضح ذلك لعروة عند روايته للحديث الشريف، وكان بعض الصحابة يدون ما يسمع بدقة متناهية.

واستمر الصحابة رضوان الله عليهم وتابعوهم بعد وفاة الرسول ﷺ في حفظ الحديث وتدارسه، ودون بعضهم ما تيسر لهم من الحديث.

إن الصحابة رضوان الله عليهم بلغوا الذروة في التثبت في طلب الحديث

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبى ﷺ ١/ ٢٥ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري)

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : ١/ ٣٢٧

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : ١/ ٢٣٠

(٤)) سنن ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ماجاء في كم يصلي بالليل حديث رقم ١٣٥٩ (١/ ٤٣٢).

وتحمله وأدائه. ومما يدلنا على ذلك: رحلتهم للتأكد من صحة الحديث الواحد قبل اعتماده، وذلك بعد أن تفرق الصحابة حملة الحديث الشريف في الأمصار المفتوحة، ويدلنا على ذلك ما جاء في كتاب معرفة علوم الحديث ـ للحاكم ـ من أن سعيد بن المسيب قال: «إني كنت لأسافر مسيرة الأيام والليالي في الحديث الواحد. وقال عمرو بن أبي سلمة للأوزاعي: يا أبا عمرو، أنا ألزمك منذ أربعة أيام ولم أسمع منك إلا ثلاثين حديثا ـ قال: وتستقل ثلاثين حديثا في أربعة أيام؟ لقد سار جابر بن عبدالله إلى مصر واشترى راحلة فركبها حتى سأل عقبة في حديث واحد وانصرف إلى المدينة لا يلوي على شيء، وأنت تستقل ثلاثين حديثاً في أربعة أيام؟!»[1].

جاء في مقدمة بن الصلاح: «فسنَّ الصحابة رضي الله عنهم الرحلة في طلب الحديث، فأصبحت من آداب طالب الحديث التي لا ينفك عنها، فما نقرأ سيرة محدث لم يرحل قط[1] إلا نادراً»[2]

وبعد مقتل سيدنا عثمان بن عفان وظهور الفتنة ومحاولات أصحاب الأهواء والبدع وأعداء الإسلام الكيد للإسلام والمسلمين، وإدخال البدع في الدين، تصدى الصحابة والتابعون لهذه المحاولات، ووقفوا في وجه كل من تسول له نفسه إدخال البدع في الدين عن طريق الكذب على رسول الله ﷺ ، مما أدى إلى ظهور علوم كثيرة تحمي حديث رسول الله ﷺ من عبث العابثين، وبدأ الصحابة والتابعون يبحثون في أحوال الرواة، ويدّققون مع الراوى ليذكر لهم من أخذ عنه الحديث الشريف، ويحرصون على ذلك عند التلقي والأداء، ولقد تتبع علماء الحديث رواة الحديث لمعرفة أحوالهم، حتى قسموهم حسب درجة حفظهم وتثبتهم إلى مراتب، أعلاها قولهم: فلان أوثق الناس، ثم فلان ثقة ثقة ـ على سبيل التأكيد ـ ثم قولهم: ثقة، ثم قولهم: فلان صدوق، ثم قولهم: فلان شيخ، ثم ما أشعر بالقرب من التجريح، مثل فلان صالح الحديث، أو يكتب حديثه.

ولقد قسم المحدثون المجروحين أيضا إلى مراتب أخّفها قولهم: فلان لين الحديث، ثم قولهم: فلان لا يكتب حديثه، ثم قولهم: فلان ضعيف جدا، ثم قولهم: فلان متهم بالكذب، وآخر هذه المراتب قولهم: فلان كذاب أو وضاع[3]

---

(١) معرفة علوم الحديث: ٨٢٧

(٢) مقدمة المحقق لمقدمة علوم الحديث: ٩

(٣)(١) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: ١٠٥، ١٠٦ انظر أيضاً، تقريب التهذيب ١/٤، ٥.

وعلى الرغم من أن علم الجرح والتعديل قد ظهر بصورة واضحة على يد العلماء المسلمين في عصر الفتنة، إلا أن وعى المسلمين بضرورة التثبت في رواية الأخبار وتداولها لم يكن وليد تلك الأحداث، بل كان وعيهم بضرورة التثبت موجوداً ومتنامياً منذ بزوغ فجر الإسلام، حيث ظهرت أسسه الأولى في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، يقول في ذلك محمد عجاج الخطيب :

(وهكذا تكون علم الجرح والتعديل الذى وضع أسسه كبار الصحابة والتابعين وأتباعهم على ضوء الشريعة الحنيفية، تأسيا برسول الله ﷺ، فقد قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**﴾ وقال النبى ﷺ في الجرح: (بئس أخو العشيرة)[1]، وفي التعديل : (إن عبدالله[2] رجل صالح)[3]

وبعد أن زادت رقعة البلاد الإسلامية وكثر تنقل المحدثين وكثر طلبة الحديث الشريف صار التلاميذ يرحلون إلى شيوخهم من المحدثين، لتلقي الحديث الشريف على أيديهم، فاشتهر الشيوخ، ودقق المحدثون في تحمل الحديث عن الشيخ، وكيفية ضبطه وأدائه.

ولقد كان الصحابة والتابعون يتعاهدون الحديث الشريف بالمذاكرة والحفظ في حلقات العلم في كل الأقطار التي فتحت بعد، ولقد بدأ بعض المحدثين في تدوين الحديث الشريف بصورة منتظمة في عهد التابعين، ومن أشهر التابعين الذين دونوا كثيرا من الأحاديث : محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى، المتوفى عام ١٢٤هـ، وفي القرن الثاني من الهجرة ظهرت كتب المصنفات في الحديث الشريف، فبعد أن كان الحديث يجمع في الكتب مختلطا بالتفسير والفقه وغيره، وبعد أن كان يجمع دون ترتيب أو تبويب، بدأ العلماء يرتبون الأحاديث النبوية الشريفة حسب نسبتها للصحابي راوي الحديث، أو حسب أبواب الفقه، أو حسب أبواب الدين كلها.

من أول الكتب التي ظهرت في ذلك : موطأ الإمام مالك بن أنس بالمدينة. ثم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لم يكن النبى ﷺ فاحشا ولا متفحشا ٤٥٢/١٠ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب مناقب عبدالله بن عمر ٨٩/٧٠ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري)

(٣) السنة قبل التدوين : ٢٣٥.

ظهرت كتب المسانيد، وأشهرها : مسند الإمام أحمد بن حنبل، وتلتها كتب الصحاح، وأصحها : صحيح البخاري، ثم صحيح مسلم.

ولقد أعتمد أئمة المسلمين الذين جمعوا الحديث الشريف شروطا دقيقة لقبول الحديث الشريف أوردِّه، بعضها يتعلق بالراوي، والبعض الآخر يتعلق بالمروي.

ومن الشروط التي تتصل بالراوي :

أن يكون راوي الحديث مسلماً، بالغا، عاقلا، غير فاسق، وغير مخروم المروءة، وأن يكون عالما بما يقول، ضابطا لما يكتب.

ومن الشروط التي تتصل بالمروي : أن لا يكون المروي مخالفا للقرآن ولما ثبت نقله عن النبي ﷺ، وأن لا يكون ركيك اللفظ والمعنى.

وقسمت الأحاديث النبوية الشريفة حسب ضبط الرواة وعدالتهم وقوة أحاديثهم إلى أحاديث صحيحة وحسنة وضعيفة، وتتبع العلماء كذلك الأقوال المكذوبة المنسوبة إلى النبي ﷺ بالبحث، لبيان فسادها وضمان عدم دخولها في الدين.

جاء في مقدمة ابن الصلاح «ومن الطرق التي ابتدعها المحدثون لمعرفة الوضع أو الضعف في الحديث : عرض حديث الراوي على رواية غيره من أهل الحفظ والإتقان، فحيث لم يجدوا له موافقا على حديثه أو كان الأغلب من حديثه كذلك ردوا أحاديثه وتركوه»[1].

ولقد قال بعض الصحابة والتابعين : كأبي هريرة، وإبراهيم النخعي المتوفي عام ٩٥هـ : إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذونه.

وقال الإمام عبدالله بن إدريس المتوفي عام ١٩٢هـ : لا نسمع الحديث ممن شرب مسكرا. .هـ [2].

ومما يدلنا على تيقظ المسلمين وحرصهم في رواية حديث الرسول ﷺ : ما ورد في كتاب المجروحين، حيث قال مؤلفه ما نصه : قد أخبر ابن عباس أن تركهم

---

(١) من مقدمة المحقق لعلوم الحديث : ٩

(٢)) المجروحين : ٣٣، ٣٤

للرواية، وتشددهم فيها على أصحاب رسول الله ﷺ، كان منهم ذلك توقيا لكذب عليه من بعدهم ـ ثم أخذ مسلكهم واستنَّ بسنتهم واهتدى بهديهم فيما استنوا من التيقظ في الروايات : جماعة من أهل المدينة من سادات التابعين، منهم : سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبدالله بن عمر، وعلي بن الحسن ابن علي . . . فجدوا في حفظ السنن والرحلة فيها، والتفتيش عنها، والتفقه فيها، ولزموا الدين ودعوة المسلمين، ثم أخذ عنهم العلم، وتتبع الطرق، وانتقاء الرجال، ورحل في جمع السنن : جماعة من بعدهم، منهم : الزهرى وبشر بن سعيد الأنصارى، وهشام بن عروة، وسعيد بن إبراهيم، وجماعة معهم من أهل المدينة، ا هـ[1]

إن هذه الدقة المتناهية في أخذ الحديث ورده أدى إلى صيانة الكتب الصحيحة وحمايتها من أحاديث أصحاب الأهواء والبدع، ولقد شهد كثير من العلماء لهذه الكتب وأصحابها بالفضل، ويدلنا على ذلك تعليق الإمام الذهبي على الإمام البخاري بقوله : كان رأسا في العلم، ورأسا في الورع والعبادة[2]. ولقد نقل الذهبي قول ابن خزيمة : «ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخاري»[3].

أما فيما يختص بصحيح مسلم : فقد نقل الذهبّي قول الحافظ أبي علي النيسابورى : «ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم»[4].

ويدلنا على ذلك أيضا : ما فعله [1] علماء بغداد مع الإمام البخاري، حيث قلبوا له متون مائة حديث وأسانيدها، وذلك ليختبروا مدى قوة حفظه، فلما تمكن الإمام البخاري من رد المتون كلها إلى أسانيدها شهدوا له بالفضل والعلم.

٣ ـ التحري في صيانة الكتاب والسنة وأثره في ازدهار العلوم الدينية والنبوية.

لقد كان للتدقيق في حفظ الكتاب والسنة أثر كبير في ازدهار العلوم الدينية، وبخاصة تلك العلوم التي تتصل بدراسة القرآن والسنة.

---

(١) المجروحين : ٣٨، ٣٩
(٢)، (٣)تذكرة الحفاظ : ٢/٥٥٥
(٤) تذكرة الحفاظ : ٢/٥٥٦
(٥) تدريب الراوى : ٢/٢٩٣، ٢٩٤

أما فيما يختص بالقرآن الكريم : فقد تعددت الدراسات حول تفسير سوره وآياته، والبحث عن ناسخه ومنسوخه، وشرح الألفاظ الغريبة فيه، والحديث عن مشكله وإعجازه، والبحث عن محكمه ومتشابهه، والبحث عن أسرار التكرار فيه، والبحث في بلاغته وتلاوته، ولقد أدى كل ذلك إلى الاهتمام بلغة القرآن الكريم، ومحاولة صيانتها من أصحاب الألسن المختلفة.

أما فيما يختص بالسنة النبوية الشريفة : فقد كانت عناية العلماء بها فائقة، لا تقل عن عنايتهم بالقرآن الكريم، ولقد ظهرت علوم كثيرة تتصل بالحديث النبوي الشريف من حيث الدراية والرواية. فظهرت العلوم التي تبحث في أسانيد الأحاديث ومتونها : كعلم الجرح والتعديل، ومعرفة المتصل والمنقطع من الأسانيد، ومعرفة العلل الخفية في الحديث، وتمييز الخبر المقبول من المردود، وجمعها في كتب مستقلة مع بيان حالها، ومعرفة المحكم والمختلف فيه، والناسخ والمنسوخ. ومعرفة آداب سماعه، وطرق تحمله، وكيفية ضبط روايته.

وكذلك ظهرت المصنفات في شرح الحديث وغريبه، وتتبع الروايات، وبيان أوجه التشابه والخلاف فيها.

ولقد أدت دراسة العلماء للقرآن والسنة ومحاولة تطبيق ما جاء فيهما من أحكام على واقع الفرد المسلم والمجتمع الاسلامي إلى ظهور علم الفقه بأبوابه المختلفة : كفقه العبادات والمعاملات وغيرها.

ولقد كان لتطور علوم الفقه وتشعبها واشتمالها على مختلف الأحكام الدينية والدنيوية أثر في تنمية المجتمع الإسلامي وإنعاشه وتماسكه، مما أثار إعجاب كثير من علماء القانون حتى من غير المسلمين، أمثال العالم الأمريكي هوكنج أستاذ الفلسفة بجامعة هارڤارد الذي قال : « . . . أحيانا يتساءل بعض الناس عما إذا كان نظام الإسلام يستطيع توليد أفكار جديدة وإصدار أحكام مستقلة تتفق وما تتطلبه الحياة العصرية؟ والجواب : إن في نظام الإسلام كل استعداد داخلي للنمو، بل إنه من حيث قابليته للتطور يفضل كثيرا من النظم المماثلة. . . وإني أشعر بكوني على حق حين أقرر أن الشريعة الإسلامية تحتوي بوفرة على جميع المباديء اللازمة للنهوض»[1].

---

(١) Civilization of Islam, P, 73

ويقول ليبون : «إن الإسلام يتمشى مع مقتضيات الحاجات الظاهرة، فهو يستطيع أن يتطور دون أن يتضاءل في خلال القرون، ويبقى محتفظا بكامل ما له من قوة الحياة والمرونة، فهو الذى أعطى للعالم أرسخ الشرائع ثباتا، وشريعته تفوق في كثير من تفاصيلها تفاصيل الشرائع الأوربية»[1].

ولقد كان لجهود العلماء في البحث والتدقيق والتتبع والمناظرة والجدل أثر كبير في تطور العلوم الدينية والدنيوية على مر العصور، وبخاصة في القرن الرابع الهجري: يقول في ذلك الدكتور حسن عبد العال : «يعد القرن الرابع الهجري أزهي العصور في الإسلام من الناحية العلميه ففيه نمت وأينعت علوم الثقافة الإسلامية كلها، وأهمها علوم القرآن، وألف كثير من العلماء كتبا في الحديث، واستقرت دعائم المذاهب الأربعة في الفقه، وفيه اتضحت آثار الفرق الإسلامية على اختلاف آرائها ومناهجها : كأهل السنة، والمعتزلة، والمرجئة، والشيعة، والظاهرية، وغيرها. ولكل فرقة منهجها وكتبها. ولم يعد هناك علم قديم أو حديث إلا وله كتب وأعلام نابغون، حيث امتاز هذا العصر باجتماع طائفة من العلماء والمفكرين والأدباء والفلاسفة والأطباء، قل أن يجتمعوا في عصر واحد، وقد كانت الثقافة فيه نسخة شائعة بين الناس جميعا، يشارك فيها خاصتهم وعامتهم، حتى المرأة شاركت في ازدهار الحركة العلمية ونموها»[2].

ولم يقصر علماء المسلمين جهودهم على البحث في العلوم الدينية فقط، وإنما شملت جهودهم العلوم الدنيوية أيضا : كالطب، والفلك، وغيرها من العلوم، لاشتمال الكتاب والسنة على توجيهات للأفراد والجماعات بالنظر والتأمل في ملكوت السموات والأرض، وفي العمل على استغلالها والإفادة منها فظهر العلماء المسلمون الذين برعوا في شتى العلوم والفنون الدنيوية : كالفارابي، وابن الهيثم، وابن سينا، وابن رشد، وغيرهم، مما كان له أثر في نهضة الدول الأوربية والعالم. ولقد شهد علماء أوربا أنفسهم بأثر المسلمين في النهضة العلمية الحديثة، وأن المسلمين كانوا الأساس الأول الذى بنيت عليه الحضارة الغربية الحديثة.

يقول في ذلك الفيلسوف جونز : «لقد ظهر في القرن الثالث عشر نوع من

---

(١) المرجع السابق : ٧٤

(٢) التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري : ٦٨.

الفنون، أطلقوا عليها اسم الفنون الجميلة، وتقدم الناس في البناء والعمران، وظهرت طبقات من الفنانين والنحاتين والشعراء، وبدأت العلوم الطبيعية في الازدهار، فنقل كثير من علماء الغرب تلك العلوم والفنون عن المسلمين الذين كانوا قد حملوا تلك الفنون والعلوم إلى أسبانيا. فانتعشت العلوم في أوربا، واستفاد علماء الغرب من تلك العلوم التي لم تكون معهودة لديهم من قبل.

وإن من أهم الأسباب التي أدت إلى نهضة العلوم الطبيعية في أوربا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر : هو انكباب العلماء والأطباء وغيرهم على النصوص العربية التي حملها لهم المسلمون إلى أسبانيا، لقد تركت تلك النصوص أثرا طيبا في نفوس العلماء فبحثوا فيها بدقة واستفادوا منها كثيراً»[1].

إنه لمن الملاحظ أن العلوم الدنيوية قد ازدهرت ونمت عند المسلمين جنبا إلى جنب مع العلوم الدينية، وهذا بعكس ما ساد عند النصارى في أوربا، حيث كان رهبان النصارى هم أول من تصدى للعلم والعلماء في عصر النهضة في أوربا، تحت الزعم بأن البحث في العلوم الكونية يتنافى مع الديانة المسيحية.
وعلى الرغم من أن العلوم نمت وازدهرت إلا أننا نجد أن العلماء قد عانوا كثيرا من ضغط رجال الدين المسيحي لهم، بل تعرض بعضهم للتعذيب والنفي والقتل، ولم تنهض العلوم في أوربا وتزدهر الا بعد أن تصدى الجمهور والعلماء لرجال الدين واضطروهم إلى التراجع عن كثير من آرائهم الخاطئة حول العلم والعلماء، فكف رجال الدين المسيحي أيديهم عن العلماء وتركوهم وشأنهم.

يقول في ذلك جونز : «وفي القرن الرابع عشر وقفت الكنيسة موقفا مخزيا من العلوم الطبيعية، وناصبت كل من يبحث عن تلك العلوم العداء، بل رأت الكنيسة حرق كل من تسول له نفسه البحث في الظواهر الكونية، وذلك لأن رجال الدين المسيحي كانوا متمسكين برأي القس أوغسطين منذ القرن الخامس الميلادى، والذى كان يقول : إن البحث في العلوم الطبيعية يؤدي إلى هلاك الإنسان، ويوقعه في الغرور ومصية الله. . وقال أيضا : إنه لا حاجة للإنسان في أن يدرس العلوم الطبيعية، لأن الإله لو أراد للنصارى دراسة تلك العلوم لذكر ذلك في الإنجيل»[2].

---

(١) (٢) A History of Western Philosophy : The Medieval Mind P. 130.

٤ ـ أثر القرآن والسنة في تكوين الأمة الإسلامية.

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم وسط أعراب جفاة القلوب، انتشرت بينهم كثير من الآثام والموبقات، وكانوا يشركون بالله ويعبدون الأصنام كاللات والعزى ومناة، وقيل: إن اللات[١] كان اسم لصنم، والعزى شجرة كانت بغطفان، كانوا يعبدونها، ومناة صنم للأوس والخزرج، نصبوه بين مكة والمدينة، وتقربوا له بالعبادة.

كما انتشرت بينهم كثير من العادات الاجتماعية[٢] السيئة: مثل شرب الخمر، ولعب الميسر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وغيرها. وساد بينهم منطق الغاب حيث يستعبد القوي الضعيف، ويستذله ويصادر حرياته.

وكان أكثر الناس تضرراً من هذا الوضع الاجتماعي السيء الضعفاء: كالأطفال، والنساء، والرقيق. فمثلا في محيط الأسرة كان بإمكان الرجل أن يبيع أو يرهن أبناءه أو زوجاته إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

ومن الظلم الذى كان يقع على الأطفال: قتلهم لأسباب[٣] اجتماعية عديدة: كالفقر، أو خشية العار، إذ كان بعض العرب يقتلون بناتهم خشية أن يكبرن ويقعن في الأسر بسبب الحروب التي كانت كثيرا ما تنشب بينهم.

أما المرأة فبجانب أنها كانت تُوأد طفلة، فقد كانت تحرم من الميراث إذا كبرت، شأنها في ذلك شأن سائر الضعفاء كالأطفال والعجزه والمسنين.

بل الأنكى من ذلك أنها كانت تورث كالمتاع تماماً، وكان العربي يرث زوجات أبيه كما يرث ماله. يقول في ذلك الإمام الرازى: «إن أهل الجاهلية كانوا يؤذون النساء بأنواع كثيرة من الإيذاء، ويظلمونهن بضروب من الظلم.. كان الرجل إذا مات وكانت له زوجة جاء ابنه من غيرها أو بعض أقاربه فألقى ثوبه على المرأة وقال: «ورثت امرأته كما ورثت ماله، فصار أحق بها من سائر الناس ومن نفسها، فإن شاء

(١) مختصر/ تفسير ابن كثير ٣/٤٠٠، ٤٠١.
(٢) تفسير الفخر الرازى: ٤/١٦٣ ـ ١٦٥.
(٣) تفسير البيضاوى: ٢/٣١٧.

تزوجها بغير صداق . . وإن شاء زوجها من إنسان آخر وأخذ صداقها، ولم يعطها منه شيئا»[1]

وكانت المرأة تعاني من الظلم والاضطهاد عند الزواج، فلا يؤخذ رأيها في ذلك، ولا يؤبه به إطلاقا، بل كانت تكره على الزواج، وكان يحق لوليها أن يأخذ مهرها، ولا تأخذ هي منه شيئا، ولم يقيد الرجل الجاهلي نفسه بعدد معين من النسوة اللاتي كان يتزوجهن.

وكانت الأمة كذلك تعاني من هذا الوضع الاجتماعي السيء، حيث كان الرجل يتزوج الأمة فتظل هي وأولادها عبيدا له، إن شاء أعتقها وأعتقهم وان شاء لم يفعل.

وكان العرب في الجاهلية يعاملون الرقيق أيضا معاملة قاسية، وكانوا يثقلون كاهلهم بالعمل الشاق. وكان هؤلاء العبيد في غالب الحالات أسرى للحرب التي كانت تسود المجتمع الجاهلي. وكان أسرى الحرب يتعرضون لأسوأ أنواع الاضطهاد بما في ذلك القتل أحيانا.

وتبعا لنظام الاسترقاق انقسم المجتمع الجاهلي إلى ثلاث طبقات متميزة : طبقة الأشراف : التي كانت الطبقة الأولى من حيث النفوذ الإجتماعي، وكانت تتمتع بالسيادة على ما عداها من الطبقات، وتمتلك الثروة والسلاح وأسباب الحكم.

أما الطبقة الثانية ؛ التي تلي طبقة الأشراف سيادة ومكانة اجتماعية، فقد كانت طبقة الموالي، وهي تتكون من بعض الأفراد الذين تخلت عنهم قبائلهم لسبب أو لآخر، وهم ينتمون للطبقة الأولى بالولاء، ويتسمون بالموالي.

أما أحط الطبقات مكانة : فقد كانت طبقة العبيد (أو الرقيق)، وقد كان أفرادها محرومين من أبسط حقوق الإنسانية، وكانوا يباعون ويشترون ويسخرون في أشق الأعمال وأحطها قدرا، ولم تكن هنالك أي قوانين أو أعراف تحمي طبقة العبيد أو الرقيق، أو تمنع عنهم الظلم الذى يتعرضون له من طبقتي الأشراف والموالي.

---

(١) تفسير الفخر الرازي : ١٠/١٠.

ولقد كان المجتمع الجاهلي أيضا مجتمعا متنازعا(١) انتشر فيه القتل والأخذ بالثأر، وكانت الحروب تقام بينهم لأتفه الأسباب.

ومن أمثلة ذلك حرب البسوس الشهيرة، التي نشبت بين قبيلتى بكر وتغلب، واستمرت أربعين عاما بسبب تافه يتمثل في إصابة أحدهم لناقة غريمه بسهم في ضرعها.

ومن أمثلة ذلك أيضا : حرب داحس والغبراء، التي نشبت بسبب سباق الخيل حيث راح ضحيتها الآلاف من البشر.

كما اشتهر عرب الجاهلية كذلك بالتعصب القبلي والعنصرى، وكان الفرد منهم ينصر أفراد عشيرته ظالمين كانوا أم مظلومين. وكانوا يتفاخرون بأنسابهم وأحسابهم، بل كانوا يفخرون بتعديهم على الآخرين واضطهادهم واحتقارهم دون وجه حق، من ذلك ما جاء في قصيدة عمر بن كلثوم حيث قال :

ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدراً وطينا

لقد كانت هذه العادات السيئة وغيرها هى التي تسيطر على المجتمع الجاهلي عند مجيء الإسلام، فتجعل منه مجتمعا مضطربا متفككا متحللا، تسود أفراده الشهوات البهيمية، وتنتفي بينهم نوازع الخير والتقوى والصلاح.

فجاء الإسلام بمجموعة جديدة من العقائد والشرائع والقيم وأنواع الحكم والسلوك التي أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون مدخلا لتبديل هذا المجتمع وإصلاحه، والنهوض به في فترة زمنية محدودة.

إن أول ما بدأ به الإسلام في إرساء دعائم المجتمع الإسلامي الجديد : أن جمع الناس حول عقيدة التوحيد لله سبحانه وتعالى، وألزمهم بالتخلي عن عبادة الأصنام المتعددة التي كانوا يلتفون حولها، ويتعصبون لها في جاهليتهم، فكان في هذا نواة لظهور الأمة الإسلامية الموحدة التي قادت العالم من حولها ووجهته نحو النور.

---

(١) فيما يختص بذلك يمكن الرجوع إلى

أ ـ تاريخ الجاهلية، للدكتور، عمر فروخ، دار العلم، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٩٨٤م.

ب ـ تاريخ العرب في عصر الجاهلية، د ـ سيد عبدالعزيز سالم، دار التحفه العربية، بيروت، ١٩٧١م.

لقد نهج القرآن منهجاً يقوم على الحوار والجدل، ويحكم العقل والمنطق، لبيان فساد عباداتهم وعقائدهم، ولقد جاءت كثير من السور والآيات مؤكدة على ضرورة توحيد الله وإفراده بالعبادة، واشتملت الآيات على إنكار عقائد الشرك وتفنيد أوهام المشركين، وبيان وجه ضلالهم، ومذكرة إيَّاهم بدين التوحيد الذى جاء به أبوهم إبراهيم الخليل عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[1]

قال ابن كثير في تفسير للآية: (يقول الله تبارك وتعالى ـ ردا على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله مخالفا لملة إبراهيم الخليل إمام الحنفاء، فإنه جدد توحيد ربه تبارك وتعالى، فلم يدع معه غيره ـ قال لهم الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: **أى من ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال**)[2].

ولم يقتصر الإسلام على دعوة المشركين فحسب، بل دعا أهل الكتاب الذين ضلوا عن الحق أيضاً، وطلب منهم نبذ ضلالهم والرجوع إلى الحق الذى جاءهم به رسل الله وأنبياؤه، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[3].

لقد قام الإسلام كذلك بتربية الفرد، وأرسى القواعد الأخلاقية الحميدة في نفسه، وحرم الموبقات كالخمر والميسر، وحارب العادات الجاهلية السيئة، وساند الضعفاء والمظلومين، وأعطاهم حقوقهم كاملة كتحريمه لوأد البنات، (وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ

---

(١) سورة البقرة : آية ١٣٠

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ١٣٠.

(٣) سورة البقرة : آية ١٣٥، ١٣٦.

سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ)[1] وقتل الأولاد بصورة عامة (وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا)[2] ولقد حمى الإسلام كذلك الطفل يتيماً فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾[3].

قال الإمام الرازي : «لقد نهى الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة عن إتلاف النفوس، وأتبعه بالنهي عن إتلاف الأموال، لأن أثمن الأشياء بعد النفوس الأموال، وأحق الناس بالنهي عن إتلاف ماله هو اليتيم، لأنه لصغره وضعفه وكمال عجزه يعظم ضرره بإتلاف ماله، فلهذا السبب خصهم الله تعالى بالنهي عن إتلاف أموالهم»[4].

وأعطى الإسلام المرأة حقوقها كاملة : كحق التملك، وحق الميراث، وعدم تزويجها إلا برضاها، ومنع الظلم الذى كان واقعا عليها، نتيجة لأنواع الزواج الجاهلى : كالشغار، والخدن، والمتعة، وغيرها.

جاء الإسلام كذلك بنظام اجتماعي جفف منابع الرق شيئا فشيئا، وأعطى للرقيق حقوقهم في العيش الكريم والمعاملة الحسنة، ورفع عنهم ظلم السادة، وجعل عتق الرقيق قربة من القربات، ودعا رسول الله ﷺ السادة إلى إطعامهم مما يأكلون، وإلباسهم مما يلبسون، ونرى أن الصحابة طبقوا هذا الحديث عمليا في حياتهم، ويدلنا على ذلك : الحديث الذى أخرجه البخارى بسنده، من حديث المعرور بن سويد الأسديِ قال : لَقِيتُ أبا ذَرٍّ بالرَّبَذةِ وعليهِ حُلَّة وعلى غُلَامِه حُلَّة، فَسألته عَنِ ذَلِك فَقَال : إني سابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرته بأُمِّه، فَقالَ لي النَّبي ﷺ : يا أبا ذَر، أعَيَّرتُه بأمِّهِ؟! إنَّكَ امرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَة، **إخوانكم** خَولُكم[5]، جَعَلَهُم الله تَحتَ

---

(١) سورة التكوير : ٨، ٩.

(٢) سورة الاسراء : آية ٣١.

(٣) سورة الاسراء : آية ٣٤.

(٤) تفسير الفخر الرازى ٢٠/٢٠٤.

(١) الخَولُ : حَشمُ الرجُل وأتباعُه، واحدُهم خَائل، وقد يكون واحداً، ويَقَعُ على العَبْد والأمة، وهو مأخوذ من التَّخويل أي : التمليك. وقيل من الرِّعاية. (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٨٨).

أيدِيكُم، فَمنَ كَانَ أَخوهُ تَحتَ يَدهِ فليُطعِمهُ مِمَّا يأكُلُ، وَليُلبِسهُ مِمَّا يَلبَسُ، ولا تُكلِّفوهم ما يَغلِبُهم، فإن كَّلفتمُوهم فأعِينوهُم). [٢].

لقد جاء الإسلام أيضا بقواعد تنظم السلوك الاجتماعي بما يحقق الخير للأمة الإسلامية وللعالم بأسره.

من ذلك أن الإسلام قد استبدل معايير التفاضل بين البشر التي كانت تقوم على العصبية والقومية بمعايير جديدة، تؤكد بأن جميع البشر أصلهم واحد، ولا يتفاضلون فيما بينهم إلا بالإيمان والتقوى والصلاح، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣]

ومما لا شك فيه: إن النظم والمباديء والقيم النظرية المجردة لا تحقق الفائدة المرجوة منها إلا إذا طبقت في عالم الواقع، ونجد أن نظام الإسلام حقق نجاحا لا نظير له من ناحية تطبيقه في واقع المسلمين، ونجد أن هذا التطبيق في بعض صوره لم يأت جملة واحدة، بل تدرج الشرع بالمسلمين فيه خلال ثلاثة وعشرين عاما، وهى فترة نزول الوحى على الرسول ﷺ. فلم يكن نظام الإسلام نظاما انقلابيا فرض على الناس دفعة واحدة دون تبصر أو تدبر أو إدراك، وإنما كان يراعي مقتضى الأحوال، لذا فإنه تدرج في محاربة بعض العادات التي كانت تسود المجتمع الجاهلي قبل الإسلام، ومن أمثلة ذلك: تدرج الإسلام في تحريم الخمر.

ساق الإمام ابن كثير الأحاديث التي وردت في شأن التدرج في تحريم الخمر، فروى عن الإمام أحمد بن حنبل من حديث أبي هريرة قال: «حرمت الخمر ثلاث مرات: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر، ويأكلون الميسر، فسألوا

---

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ١٤/١ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).
(٣) سورة النساء: آية ١
(٤) سورة الحجرات: آية ١٣.

رسول الله ﷺ عنها؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا . . ﴾[1] الى آخر الآية، فقال الناس : **ما حرمها علينا**، فإنما قال : ﴿ **فيهما إثم كبير ومنافع للناس** ﴾، وكانوا يشربون الخمر، حتى كان يوما من الأيام صلى رجل من المهاجرين أم أصحابه في المغرب، فخلط في قراءته، فأنزل الله آية أغلظ منها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾[2]، فكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مغبق[3] ثم أنزلت آية أغلظ منها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[4]، قالوا : انتهينا ربنا»[5].

وهكذا نرى أن الإسلام وحد الأمم المختلفة تحت رايته، وجعل منهم أمة واحدة، لتكون الأمة القائدة للأمم الأخرى، بسبب حملها وصيانتها للنور والحق الذى يوجه الإنسانية جميعها لما يحقق لها الخير والرفاهية في جميع نواحي الحياة : ثقافية كانت، أم سياسية، أم اجتماعية، أم اقتصادية.

خامسا : التلخيص والخاتمة

لقد ثبت لنا من الدراسة السابقة : أن اليهود يعتبرون أن التوراة التي بين أيديهم الآن كتابا مقدسا، وينسبون أصلها إلى سيدنا موسى عليه السلام، هذا على الرغم من اعترافهم بأن سند التوراة منقطع بين سيدنا موسى عليه السلام، وبين يوشيا بن آمون جامع التوراة ومؤلفها بزعمهم، مما يترتب عليه أن تكون التوراة التي

---

(١) سورة المائدة : ٢١٩.
(٢) سورة النساء : ٤٣.
(٣) الغبق والتغبق والاغتباق : شرب العشيِّ. وانظر لسان العرب ١٠/٢٨١.
(٤) سورة المائدة : ٩٠.
(٥) تفسير ابن كثير : ١/٥٤٥.

بين أيديهم ليست التوراة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على سيدنا موسى عليه السلام على سبيل اليقين، ومن ثم تصبح جميع العبادات والعادات والأحكام التي تبنى عليها باطلة.

كذلك نجد أن النصارى يعتبرون الأناجيل التي بين أيديهم الآن كتابا مقدسا منزلاً من الله سبحانه وتعالى، على سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، وهذا على الرغم من أن سند الأناجيل منقطع بين مؤلفي الأناجيل، وعيسى عليه السلام من جهة، وبينهم وبين تاريخ اعتماد الأناجيل رسميا من جهة أخرى.

وإنه لمن الثابت تاريخيا : أن تلك الأناجيل اعتمدت في مؤتمر نيقية عام ٣٢٥م، وأن تاريخ تأليف بعضهم للأنجيل بدأ عام ٦٢م، وإلى أن ختمت ـ بزعم النصارى ـ بتأليف يوحنا لإنجيله عام ٩٣م.

كما نجد أن النصارى لجأوا لحجة واهية لإثبات أن تواتر الإنجيل غير منقطع، زاعمين أن روح القدس أيد وألهم مؤلفي الأناجيل، باعتبار أنهم كانوا من حواريي عيسى عليه السلام، على الرغم أن هؤلاء المؤلفين مجهولو الحال والعين، ولم يثبت لأحدهم لقاء سيدنا عيسى عليه السلام إطلاقا، وكل الأقوال الواردة في شأنهم مبنيه على الظن والتخمين.

ولقد ثبت فساد مقالتهم كذلك بما رأيناه من أن تأييد روح القدس لم يقف عند حد المؤلفين، بل امتد تأييده بزعمهم إلى بابوات الكنائس وبخاصة بابوات الكنيسة الرومانية، وامتد تأييده كذلك ليشمل رؤساء المجامع المختلفة الذين ما فتئوا يغيرون ويبدلون في الأناجيل عبر القرون، حتى عصرنا الحاضر، ويدلنا على ذلك البدع التي أدخلها أصحاب الحركات الإنسانية والتحررية في الإنجيل في المجامع الكنسية التي عقدت في الولايات المتحدة الأمريكية في هذا العصر لتغيير بعض فقرات الإنجيل، بما يناسب آراء الثوار وأحوالهم.

ويترتب على كل ذلك أيضا : أن الأناجيل التي بأيدي النصارى اليوم منسوبة لعيسى عليه السلام دون سند أو دليل، وعليه فلا يستطيع أحد أن يجزم بأنها إنجيل السيد المسيح، وعليه أيضا تصبح جميع العبادات والعادات والأحكام التي انبنت عليها باطلة.

ويمكننا أن نقول ـ حسب ما بيناه سابقا من أحوال أحبار اليهود ورهبان

النصارى ـ : إن هؤلاء كان لهم أثر كبير في تحريف التوراة والإنجيل، فلم يصونوهما من عبث العابثين، بل أدخلوا هم أنفسهم كثيرا من البدع فيهما، حتى استحال الكتابان أقرب للوثائق الوثنية منها للكتب المقدسة.

ولقد تبين لنا ذلك من الأفكار الوثنية الكثيرة المتضمنة في هذين الكتابين، ومن اعتمادهم للمتناقضات التي لا يمكن الجمع بينها، كما يدلنا على ذلك تقديس اليهود للكتب التي وضعها الأحبار : كالتلمود الذى وضعوه في رتبة أعلى من رتبة التوراة.

أما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة : فلم يتعرضا لأي تحريف أو تغيير، لأن الله سبحانه وتعالى حفظهما. لقد كان لحفظ الكتاب والسنة بفضل الله وكرمه على البشرية، ثم بجهود رسوله الكريم محمد ﷺ وجهود صحابته رضوان الله عليهم وتابعيهم ومن تبعهم أثر بالغ في صيانة الإسلام : عقيدة وشريعة، ومنهجا للحياة من التحريف والتبديل والتشويه الذى لحق بعقائد الأمم الأخرى.
فقد كانت وسيلة المسلمين في حفظ القرآن التلقي من النبى ﷺ مباشرة وحفظه في الصدور عن طريق التلقين مشافهة، وتدوينه في السطور بمنتهى الدقة كذلك، وتواتر نقله من السلف للخلف، واستمر حفظه وتداوله، وتحمل ذلك وأداؤه بنفس المنهجية منذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا، وإلى ما شاء الله.

أما السنة النبوية الشريفة : فقد لقيت أيضا عناية فائقة من السلف والخلف في حفظها وتداولها وتدوينها. نرى الحديث النبوى الشريف قد جمع ودون بمنهجية دقيقة تمثلت في خلق ضوابط متعددة لضبط سنده من حيث عدد طرق هذا السند وتقسيمها تبعا لذلك إلى المتواتر والآحاد، ثم تقسيم الحديث من حيث قوته وضعفه إلى مقبول ومردود، فانقسم الحديث تبعا لذلك إلى مراتب تتراوح بين الصحيح، والحسن، والضعيف، ثم يليها الحديث الموضوع المختلق المكذوب على النبي ﷺ، وذلك لتحذير المسلمين من أخذ الأخبار المردودة وبيان أوجه ردها، سواء أكان سبب ردها سقطا في سند الحديث أو طعناً في راويه.

ولقد دقق علماء المصطلح كذلك في متون الأحاديث للتأكد من سلامتها من الشذوذ والعلل التي تقدح في متونها، مما بلغ بالحديث النبوي الشريف كذلك أعلى مراتب التوثيق والضبط.

وعليه يمكن للباحث المتحري أن يجزم بأن ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة من عقائد وعبادات ومعاملات وتشريع هى في حقيقتها وحي من عند الله سبحانه وتعالى، ومن توجيهات رسوله الكريم ﷺ، كما أنه يستطيع أن يجزم بأن القرآن والسنة الصحيحة لم تمتد إليهما يد التحريف : بالإضافة، أو الحذف، والتشويه بعكس الكتب السماوية السابقة.

مراجع البحث

مراجع عربية

١ ـ أصول الصهيونية في الدين اليهودي ـ د. إسماعيل راجي الفاروقي ـ مطبعة البيان الغربي ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤م.

٢ ـ إظهار الحق ـ رحمة الله الهندي ـ طبع مكتبة الوحدة المغربية.

٣ ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ـ للحافظ ابن كثير ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ـ طبعة محمد علي صبيح وأولاده ـ الطبعة الثالثة (١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م).

٤ ـ برهان يتطلب قراراً ـ براهين تاريخية على صحة الإيمان المسيحي، جوشي مكدويل، دار الجيل للطباعة ـ القاهرة.

٥ ـ بنو إسرائيل في القرآن والسنة ـ د. محمد سيد طنطاوي ـ دار حراز، القاهرة ـ الطبعة الأولى عام ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

٦ ـ التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ـ سعيد بن البطريق ـ طبع بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين بدون تاريخ.

٧ ـ تدريب الراوي شرح تقريب النووي، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ـ المكتبة العلمية بالمدينة المنورة (الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢).

٨ ـ تذكرة الحفاظ ـ أبو عبدالله شمس الدين الذهبي ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ـ الهند ـ الطبعة الثالثة ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

٩ ـ التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ـ د. حسن عبد العال ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٧٧م.

١٠ ـ تفسير ابن كثير القرشي الدمشقي ـ مطبعة إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١١ ـ التفسير الكبير للإمام محمد الرازى فخر الدين، وبهامشه تفسير العلامة أبي السعود ـ مطبعة النهضة المصرية ـ الطبعة الأولى عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

١٢ ـ تقريب التهذيب ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثالثة عام ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
١٣ ـ التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان ـ دار النفائس، بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٢م.
١٤ ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ـ للحافظ الخطيب البغدادي تحقيق الدكتور محمود الطحان ـ طبعة مكتبة المعارف ـ الرياض ـ عام (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣).
١٥ ـ الخطر اليهودي ـ محمد خليفه التونسي ـ منشورات دار السلاسل الكويت ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٦م.
١٦ ـ الدين والمجتمع ـ د. إبراهيم هلال ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة عام ١٩٧٦م.
١٧ ـ سنن ابن ماجه ـ الحافظ أبي عبدالله بن محمد بن يزيد القزويني ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١٨ ـ سنن أبي داوود، للإمام الحافظ أبي داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق. عليه تعليقات الشيخ أحمد سعيد على الطبعة الأولي عام ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
١٩ ـ سنن الترمذي بشرحه تحفة الأحوذى ـ لأبي المعالي عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى ـ تصحيح ومراجعة عبد الرحمن محمد بن عثمان/ مطبعة المدني بالقاهرة ـ الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
٢٠ ـ السنة قبل التدوين ـ محمد عجاج الخطيب ـ دار الفكر، القاهرة الطبعة الثانية عام ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.
٢١ ـ سير الآباء البطارقة ـ سبيولد شارل ـ بدون تاريخ.
٢٢ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ـ المطبعة المصرية ومكتباتها ـ القاهرة.
٢٣ ـ علوم الحديث لابن الصلاح ـ تحقيق نور الدين عتر ـ المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ـ الطبعة الثانية ١٩٧٢م.
٢٤ ـ صحيح البخاري بشرحه فتح الباري ـ الحافظ شهاب الدين أبي الفضل العسقلاني ـ المعروف بابن حجر ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.

٢٥ ـ القرآن الكريم وبهامشه تفسير ناصر الدين الألباني ـ مراجعة عبد العزيز سيد ـ مكتبة ومطبعة الحسين ـ القاهرة ١٩٦٤م.
٢٦ ـ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ـ محمد جمال الدين القاسمي تحقيق وتعليق محمد بهجة البطار ـ دار تحقيق الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٢٧ ـ قوانين الملوك ـ د. عبد السميع محمد أحمد ـ مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٥م.
٢٨ ـ الكتاب المقدس ـ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٦٠م.
٢٩ ـ الكتاب المقدس في الميزان ـ تأليف د. ادوارج بونج ـ ترجمة القس إلياس مقار ـ مطبعة دار الجيل بالفجالة ـ القاهرة ـ الطبعة الأولي.
٣٠ ـ الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ـ طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ـ عام ١٣٥٧هـ.
٣١ ـ الكنز المرصود في قواعد التلمود ـ ترجمة يوسف حنا نصر الله ـ بيروت الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.
٣٢ ـ كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ـ للإمام الحافظ محمد بن حبان ـ تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي بحلب ـ الطبعة الأولى عام ١٣٩٦هـ.
٣٣ ـ محاضرات في النصرانية ـ الشيخ محمد أبو زهرة ـ الطبعة الثالثة ـ مطبعة المدني ـ ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.
٣٤ ـ المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ـ عبد الكريم الخطيب ـ دار المعرفة بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية عام ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٦م.
٣٥ ـ معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوى ـ تصحيح وتعليق د. معظم حسين ـ المكتب التجاري للطباعة والنشر ـ بيروت ـ بدون تاريخ.
٣٦ ـ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي ـ المطبعة السلفية ومكتبتها، الطبعة الأولي ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٥م.
٣٧ ـ مقارنة الأديان اليهودية ـ د، أحمد شلبي ـ مكتبة النهضة المصرية الطبعة السابعة ١٩٨٤م.
٣٨ ـ المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل ـ د. فاروق حمادة ـ مكتبة المعارف ـ الرباط ـ المغرب ـ الطبعة الأولي ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٣٩ ـ نسق الأضاليل مرحلة أساسية في إزالة إسرائيل ـ أنيس فاخوري بيروت ١٩٧٤م.
٤٠ ـ اليهودية والصهيونية ـ أحمد عبد الغفور عطار ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م.

Albert Shwitzer
The Quest of the Historical jesus New York, The Macmillan Co., 1968

Barkely J.
The Talmud, John Murray, London, 1878.

David Flusser
Jesus, Harder and HArder, New York 1969.

Donald J. Kussmann
The Dictionary of Religious Terms, U.S.A.

Ellis Rivkin
The Shaping of Jewish History, Charles Scribner's sons, New York, 1971.

Gershem G. Scholem
Jewish Mysticism, New York 1941.

James M. Robinsons
The Kerygima and the Historical Jesus, 1960.

Leonardo Boff
Jesus Christ Librator, U.S.A. 1979.

Merrill C. Tenney
New Testment Survey, U.S.A. 1982.

Moltmann. J.
Towards a Political Hermeneutic of the Gospel, New York Scribners, 1969.

Rahde J.
Rediscovering the teaching of the Evanglist, Philodelphia wedminister press, 1968.

Sholem S.
The Messiunic idea in Judaism, New York, 1971.

William J.
The Judea Christian.

Courteny.
Heritage, U.S.A. 1970.

New Caxon Encyclopedia, International Learning System Corporation Ltd., London England 1969.

The New Encyclopaedia Britannica, U.S.A. 1974.

Albert Shwitzer	The Quest of the Historical jesus New York, The Macmillan Co., 1968
Barkely J.	The Talmud, John Murray, London, 1878.
David Flusser	Jesus, Harder and HArder, New York 1969.
Donald J. Kussmann	The Dictionary of Religious Terms, U.S.A.
Ellis Rivkin	The Shaping of Jewish History, Charles Scribner's sons, New York, 1971.
Gershem G. Scholem	Jewish Mysticism, New York 1941.
James M. Robinsons	The Kerygima and the Historical Jesus, 1960.
Leonardo Boff	Jesus Christ Librator, U.S.A. 1979.
Merrill C. Tenney	New Testment Survey, U.S.A. 1982.
Moltmann. J.	Towards a Political Hermeneutic of the Gospel, New York Scribners, 1969.
Rahde J.	Rediscovering the teaching of the Evanglist, Philodelphia wedminister press, 1968.
Sholem S.	The Messiunic idea in Judaism, New York, 1971.
William J.	The Judea Christian.
Courteny.	Heritage, U.S.A. 1970.
	New Caxon Encyclopedia, International Learning System Corporation Ltd., London England 1969.
	The New Encyclopaedia Britannica, U.S.A. 1974.